روايات عبير الجديدة

في عرين الأسد

www.elromancia.com

مرمورية

في عرين الأسد

شايلا ستروت

بارد، قاس، ومريب، ذلك هو جاي مايتلاند.

هكذا كان مع مقدار الجيد من الادراك، لجعل دولسي توافق على الذهاب معه الى مزرعته كرفيقة لابنته اليتيمة.

كانت تعتقد ان الحالة هذه لن تستمر طويلاً، على امل ان تعود الى انكلترا لتتزوج صديقها روس.

فجأة انقلبت الاشياء رأساً على عقب.

رغماً عنها، وجدت دولسي نفسها تقع في غرام مستخدمها الذي لا يمكن الوصول اليه، عندها لاحظت ان كرهه وريبته بالنساء لم يصل الى تلك الجميلة الرقيقة كورين باترسون.

الفصل الأول

«جيمي، عد يا جيمي!» كان ذلك صوتها.

«لن اعود ابداً! اكرهك! اكرهك!» كان ذلك جيمي.

صارخاً بكل غضب فتى في العاشرة من عمره شعر انه قد طعن، بينما هرع نحو الرواق.

«دعيه يذهب! إعطه وقت للتفكير!» كان ذلك جيري، يمنعها من الدخول، حيث اندفع من بين الناس الجافلة المنتظرة هناك.

على الرغم من ان كل هذا حصل منذ اكثر من اسبوع، لكن ذكرى الاصوات كانت تتصاعد تدريجياً في رأس دولسي مورتيمر على نحو لا يطاق، ممزوجة بأصوات المحادثات الاخيرة مع رجال الشرطة، موظفين اجتماعيين ومع رئيسها، جيري هيريندين، وكل ذلك لاخبارها بأنها ليست المسؤولة عن ما حدث.

لكنها لم تلم الا نفسها لموت صبي هارب في العاشرة من عمره، حاول ان ينام في بيت مهدم تقريباً، فسقط السقف عليه.

كان ذلك كثيراً جداً الذكريات الاتهام المستمر بأنها لو عالجت الوضع بطريقة مختلفة، لكان جيمي بروس ما زال حياً.

في محاولة لطرد ذلك الشعور بالاثم الذي اعتراها فجأة، وهي

في طريقها الى المنزل بعد يوم عمل طويل، بدأت دولسي تسير بسرعة، لكن عندما لم تجده كافياً، ركضت وركضت، لكنها لم تكن تشعر بشيء، ولم تع الا لذلك الشعور بالذنب الذي كان يسحقها.

ربما عليها تغيير وظيفتها، ربما سنتين من العمل في عيادة لتوجيه الاطفال في احد افقر واتعس مناطق في شمال لندن كان كافياً جداً، ربما... ربما...

صوت ازيز الفرامل قطع عليها افكارها، حيث ادركت بانها في منتصف تقاطع طريق في ساعة يكون السير فيها مزدحماً، حيث لم تلاحظ انها امام مرسيدس رصاصية اللون، كانت على وشك الاصطدام بها.

امسكت يد بكتفيها، وصوت رجولي غاضب قال لها.

«الا تتوقفين ابداً لتنظري الى اين انت ذاهبة؟».

نظرت دولسي اليه، لم تره وهو يخرج من السيارة متجها نحوها، لكنها افترضت ان هذا الرجل الاشقر هو السائق، وافترضت ايضاً ان احساسها بان قدميها عائمتان في الهواء كان من جراء الصدمة، انها واقفة في مركز محتشد بالناس الفضوليين، بينما خط السير ابتدأ بالتجمع وراء المرسيدس في منتصف الطريق.

«هل انت بخير؟ لم اصطدم بك، اليس كذلك؟».

كان الصوت الطف الآن، ما زال حاداً لكن تلك النبرة الغاضبة قد ذهبت، كانت لهجته اميركية ـ كندية، سنتين من العمل لدى طبيب نفساني كندي، علمها ذلك الفارق البسيط.

«لا انا بخير» حاولت السيطرة على تلك الرجفة التي اعترتها على غير توقع، «انا آسفة».

«لا تبدين بخير ابداً! انت بيضاء كالحليب! ولكونك آسفة فقد اتى اعتذارك متأخراً!» قالها متفحصاً لها بعينيه الرماديتين.

شعرت دولسي بحيوية غريبة عندما نظر اليها، في مكان ما، كانت متأكدة انها رأته من قبل.

«الى اين انت ذاهبة؟» سأل.

«آه، الى هناك» اشارت دولسي الى محطة تحت الارض، في الجهة المقابلة للشارع.

«والى اين من هناك؟» سأل.

«بيكاديللي سيركس».

«حسناً، ادخلي! ساوصلك الى هناك، انه طريقي».

واتجه نحو الباب ليفتح لها، وكأنه ضمن انها وراءه.

«لا شكراً» قالتها مستاءة من افتراضه انها ستقبل عرضه.

ابتعدت دولسي وهي تمشي على قدمين شعرت بانهما مطاطتين.

«شكراً على اي حال» قالت «ليلة سعيدة».

«لا تكوني سخيفة» امسكها بذراعها.

العيادة، هناك رأته دولسي! كان يبدو عندها غاضباً كالآن تماماً.

«انت في حالة لا تسمح لك بعبور الشارع» قال باقتضاب.

«انا بخير تماماً!» نظرت دولسي اليه متمنية ان تكون نظرتها قاسية.

«وانا اقول بأنك لست بخير!» ناقضها ببرود.

«بكل الاحوال هذا ليس بالوقت او بالمكان المناسب لمناقشة حالتك الصحية». مشيراً الى ازدحام السيارات خلفهما، «هيا،

ادخلي!» امراً.

كانت دولسي صغيرة الحجم، لا يتعدى طولها الخمس اقدام، وغالباً هذه الحقيقة كانت تسبب لها احباطاً، خاصة عندما تلتقي شباناً لأول مرة، فيتصورون ان بامكانهم معاملتها كلعبة صغيرة، لكن عندما امسكت يد هذا الرجل ذراعها وقادها نحو السيارة لم تشعر فقط بالضآلة، بل ايضاً انها ضعيفة ومجردة من ارادتها.

لم يتركها الا بعد ان جلست في السيارة، حيث انتبهت لرائحة الجلد الثمين المنبعثة من المقاعد، لكنها ركزت نظرها على يده القابضة على المقود، كان هناك محبساً في اصبعه، كم عمره... خمس وثلاثون؟ اربعون؟ تقريباً بعمر جيري، من الصعب ان تفاجأ بزواجه، من الواضح ثري، جذاب بدون شك، كانت ستفاجأ لو لم يكن متزوجاً.

حتماً هو نفس الرجل الذي رأته في مكتب جيري، لكن حينها لم تلاحظ تلك الاهداب الرقيقة، او ذلك الشعر المسرح على طريقة عرف الاسد ليتناسب مع بذلته الثمينة.

اعادت نظرها نحو يده، كيف تبدو زوجته؟ متسائلة، لقد عرف! اللحظة التي نظرت فيها اليه، كان هو ينظر اليها فقد كان مدركاً الى انها تتفحصه، ومضت عيناه الرماديتان وكشف فمه عن ابتسامة كسولة.

قصة مسلية يخبرها لزوجته المجهولة! كيف هذه الفتاة الحمقاء كادت ان تقتل نفسها، وهي تسير مسرعة امام سيارته، ثم اوصلها الى البلدة لينقذها من نفسها، فجلست وحدقت به طوال الطريق كأرنب مفتون.

باستطاعة دولسي ان تخمن تفكيره، وبامكانها ايضاً سماعه

يضحك عليها مع زوجته، ولعنت ميراثها لذلك الشعر الاحمر ولون بشرتها الشفاف الذي يجعلها تحمرّ بسهولة.

«هل انت دائماً كذلك في حياتك بكل شيء، تصلين الى الخطر الاقصى؟» سبب احرجها حوّل انتباهه ثانية باتجاه الطريق.

«ماذا تعني؟» شعرت دولسي بلونها يتغير.

«اعني» قال بشدة «تهرعين الى المكاتب وكأن قطيع من الجاموس وراءك، وثم تركضين امام اقرب سيارة وكأنك قد اكتسبت مناعة خاصة ضد القتل!».

كان تعليقه لا يتطلب اي جواب، لكنه اكمل بعد لحظة.

«ماذا تفعلين في العيادة؟».

«انا متكهنة نفسية» ردت دولسي، «اجري اختبارات نفسية على الاطفال الذين يأتون الى العيادة للمعالجة».

«اظن ان هذا مهماً اكثر من عمل السكرتيرة!» جعلها تبدو كإهانة مهذبة، فشعرت دولسي بحدة مزاجها ترتفع.

«ربما، وربما لا» قالت بحدة «انا اعمل هذا لانني انتمع بذلك ولا تهمني قضية المراتب تلك!» فقد سمعت حدة صوتها، يا له من مغرور! «فحص الاطفال واختبارهم قبل بدء العلاج، عمل مهم جداً» قالت بتلمر «لكنني اعمل هذا لانني اردت دائماً العمل مع الاطفال».

«اكثر من انجابهم، افترض!» نبرته الكندية حملت اكثر من تلميح ساخر.

«المرأة الحرة، تعدل عن الزواج من اجل مهنة سامية!».

«لا، ابداً! من المحتمل جداً مزج الاثنين».

هذا ما كان روس يقوله لها دائماً، لكنها كانت تصده دائماً في

محاولة لتمديد فترة الخطبة غير الرسمية، لانها تعتقد ان الزواج الآن سيحطم لها مستقبلها المهني.

«الزواج والمهنة، ها؟» نظر اليها بسرعة «تأخذين كعكتك وتأكلينها ولا تهتمين اذا كان الطرفان يتعذبان!».

«لا يحتاج الامر ليكون هكذا؟».

«تتوقع المرأة دائماً الامان حين تتزوج، لكن في ايامنا هذه تتوقع ايضاً استخدام حقوقها المستقلة، واذا كان احد هذه الحقوق متعلق بمهنتها، تضع قلبها جانباً، واذا صادف الزواج وجوده كحجر عثرة في الطرق... الى الجحيم!».

هز كتفيه استهجاناً، وغير مبالياً.

«بامكانها دائماً الحصول على زوج آخر اذا شعرت بانزواثها، او انجاب طفل او اثنين اذا ارادت!».

بافكاره الثابتة تلك، كان يشكل بالنسبة لدولسي آخر شخص ممكن ان تتناقش معه بقضية زواجها من روس. كانت تعلم انهما سيتزوجان، الجميع قال لها ذلك، منذ عشرين عاماً، في يوم كانت لا تزال في الخامسة من عمرها وروس في السابعة، واختفيا مسيبان للجميع حالة ذعر.

لم تستطع تذكر الحادثة، لكن امها وام روس تنبأتا بهذا الزواج منذ حينها.

«هل هنا مناسب لك؟».

افاقت دولسي من غشيتها لتجد بانهم قد وصلوا الى المدخل الرئيسي لبيكاديللي سيركوس.

«اجل هذا جيد» وجدت نفسها تبحث عن رأس روس بين الحشود المارة، كان روس سيستجوبها اذا رآها تصل بسيارة

كهذه، لكن دولسي ارتاحت، لانها لم تجد روس فقد وصلت هي مبكرة.

«هل ستقابلين احداً آنسة...؟» استحوذ الرجل الذي بجانبها على كامل انتباهها.

«مورتيمر» قالت وتوردت خداها لسبب ما «دولسي مورتيمر، نعم سأقابل صديق».

لماذا قالت ذلك؟ كانت مرتعبة، على الرغم من انهم لم يشتروا محابس الزواج، كان شيئاً مفهوماً انها ستتزوج روس، اذاً لماذا قالت انه مجرد صديق؟ بالتأكيد لم ترد اعطاء هذا الذكر المتعصب فكرة بانها حرة، ربما هو جذاباً، لكنها لا تود ابداً رؤيته ثانية، وذكرت نفسها بحزم انه متزوج.

«صديق، اذاً؟» تفحصها «لن اسأل ذكر او انثى، لكني سعيد بوجود شخص يمنعك من تدمير نفسك سأقول ليلة سعيدة اذاً».

احست بعضلاته القاسية عندما انحنى امامها ليفتح لها الباب.

خرجت من السيارة بسرعة الى الرصيف وانحنت لتودعه.

«شكراً لك، وانا آسفة اذا تسببت لك في اي متاعب!».

«لا ازعاج على الاطلاق!» تلك النبرة الساخرة ضايقتها.

«ليلة سعيدة اذاً آنسة دولسي مورتيمر».

«الى اللقاء!» قالت بحزم.

فتشت عن روس، متمنية للمرة المليون لو انها اطول مما تجعلها احذيتها ذات الكعب العالي.

التقائها بصديق جيري المستشار الكندي تركها مضطربة، بشكل غير قابل للتعليل، كان من السهل عليها ان تقول انه لم يعجبها، لكن الامر كان اقل واكثر من ذلك، بامكان شخص مثله

ان يقلب حياتها.

عبرت من خلال الحشود الى نقطة يمكنها الانتظار فيها قرب مدخل المحطة، بماذا كانت تفكر؟ لا يمكن ان يغير لها حياتها... لم تعرف اسمه حتى.

لم يكن حتى رأت روس يشق طريقه عبر الحشود باتجاهها، لاول مرة منذ اسبوع، قد مرت اكثر من نصف ساعة دون التفكير بجيمي بروس.

الفصل الثاني

حتى عندما اقلعت الطائرة، وروس واهلها واقفون مع حشود المتفرجين او المودعين في صالة مطار لندن، كانت دولسي ما تزال غير مصدقة لكل ما يحصل لها.

بعيداً عن عملها كمستشارة طبية، تحولت دولسي الى مرافقة لابنة صديق جيري الكندي، وها هي الآن في طريقها الى كندا لتمضية ثلاثة اشهر معهم.

«ولا تظني انها ستكون اجازة» حذرها رئيسها. «طلق جاي زوجته بمرارة، ووقفت لوري بصف ابيها، لذلك فهي تكره كل النساء من اجله، فهي ستغضب اذا ناديتها باسم لوريل او اقترحت عليها ارتداء فستان بدلاً من البنطلون!».

«جيري، لا اظنني استطيع ذلك!» ناشدته دولسي.

«اشعل غليونه وراقبها عبر الدخان، «لا اظنك تملكين الخيار، اليس كذلك؟».

لم تملك دولسي اي جواب، عندما استدعاها جيري الى مكتبه ذلك الصباح ليشرح لها معاناتها من جراء ما حصل مع جيمي بورس، صدمت، لكن عندما اخبرها انه استأجر بديلة مؤقتة عنها،

واصر على اخذها لاجازة طويلة، على الاقل ثلاثة اشهر، فالفراغ الذي طرأ عليها ارعبها.

ماذا يمكنها ان تفعل بكل هذا الفراغ؟ ادركت انها تستطيع العودة الى اهلها في بلدة سوراي خارج لندن وارتابت ان قرار روس بالزواج سينفذ حالاً.

خامر جيري شعور باحاسيسها اكثر مما اعتقدت، لذلك اقترح عليها الذهاب الى كندا.

كان جيري الشخص الوحيد الذي تناقشت معه بخصوص شكوكها في الزواج من روس، فقد كان بالنسبة اليها صديقاً اكثر منه رئيساً.

«حسناً» قال جيري اخيراً، وهو يرص تبغ غليونه، مستخدماً عود ثقاب آخر لاعادة تشعيله، «هل انادي جاي لاخبره انك قادمة ام لا؟».

«انت متأكد انه يريدني؟».

«هو الذي اقترح هذا».

كان من الصعب على دولسي ان تتذكر كل ما حصل لها خلال الاسبوعين الاخيرين، حتى انها لم تميز اذا ما كان اسبوعين، شهرين ام سنتين، كل ما تعرفه الآن انها في الطائرة، وقريباً ستكون في كندا.

سحبت دولسي تلك الرسالة من حقيبتها واعادت قراءتها عشرات المرات.

جايسون مايتلاند الثالث، الرجل الذي يناديه جيري باسم حاي، اكد انها ستقضي ثلاثة اشهر في مزرعة «روز ڤالي» كرفيقة لطفل في الثانية عشرة من عمره. ليست «ابنة» لاحظت دولسي

فورا كلمة «طفل» جايسون مايتلاند الثالث الذي خسر جده كل شيء في مضاربة البورصة عام ١٩٢٩ لكن ابيه عوض ذلك، بالاحتفاظ بقطعة ارض مميزة في بلاد المروج والسهول، «ساسكاتشيوان» حيث اصبح من اصحاب الملايين، وذلك من جراء مغامرته بشراء الاراضي وبيعها، حتى اصبح يمتلك الكثير يديرها جامي الآن.

التقيا جاي وجيري في الثانوية، لكن طرق حياتهم باعدت ما بينهم حين تزوج جيري من انكليزية واستقر في لندن.

وجاي تزوج ممثلة اميركية «اجمل مخلوق يمكن ان تراه» حسب اقوال جيري، واخذها ليعيشا في امبراطوريته البرية.

انتهى زواجهما بعد شهر من ولادة لوري، حيث يئست زوجته من العيش في هذه العزلة، فعادت الى مهنتها.

مطلق مع طفلة صغيرة جعلته يوغل اكثر في امبراطوريته المنعزلة، يعيش فيها مع لوري وبعض الخدم الهنود، والعاملين في المزرعة، كان لديه عالمه الخاص، فكل ما يختص او يتعلق بامرأة يبقى بعيداً عن بيته وعن ابنته.

وضعت دولسي الرسالة في المغلف ونظرت الى صورة فتاة صغيرة، اعطاها اياها جيري حيث كان يسميها «ابنه اخيه؟» فهي تبدو كالصبي تماماً.

ولهذا السبب جلست هي في هذه الطائرة، تقطع كل هذه الاميال، لتصل الى ساسكاتشيوان، ليس بسبب ابيها، ذكرت دولسي نفسها بسرعة، بل لوضع مثال انثوي في حياة هذه الفتاة الصغيرة.

اوشكت الرحلة على الانتهاء وما زالت دولسي تفكر وتفكر

وتعيد التفكير، وبدأت علامات الاضطراب تظهر عليها، لان لقاءهما الثاني مع رجل كل حواسها المنذرة تعمل، سيكون بعد ساعات قليلة.

بعد ان هبطت الطائرة وافرغت حمولتها من الركاب، وقفت دولسي بين حقائبها تبحث عن عربة، فهي لم تكن ابداً في واينيبيغ فقد كان يمكنها ان تكون في اي مطار في العالم، ومشكلتها الوحيدة، انها بعيدة آلاف الاميال عن كل الاشخاص الذين تعرفهم ولا احد يهتم بها!.

وقفت تحدق بغضب بعينيها الخضراوين، مفكرة، بالتأكيد ان جايسون مايتلاند الثالث لم يحظ باي تغيير، فقرر عدم مقابلتها؟.

«انت دوروثيا؟» سمعت صوت ينادي بها من مكان ما باسمها الكامل فنظرت حولها لترى (امبركي - هندي) شمالي، الوحيد الذي رأته في حياتها!.

«نعم، هذا صحيح» دراسة ملامحه السمراء المستقيمة.

«هل وصلتك رسالة لي من السيد مايتلاند؟» سألت برجاء.

«ارسلني جاي لاحضارك، هل هذه لك؟» احنى ارتفاعه الهائل ليحمل حقائبها.

«أجل، لكن ...» ترددت، كانت تعلم انه سيجدها حمقاء، لكن فكرة الذهاب معه وحدها، كانت مخيفة.

«هل لديك اي شيء يثبت ان السيد مايتلاند ارسلك؟» سألت بحذر.

«لا، يا سيدتي!» حيث وقف بعدما حمل لها امتعتها، «لكن يمكنني ان اخبرك شيء واحد لن اكون هنا لو لم يطلب مني ذلك، كوني اكيدة!» نظر حوله بازدراء تام. حيث شعرت دولسي بمدى

سخفها وحماقتها.

«آه، فهمت» قالت بضعف «اذاً، اعتقد انه من الافضل الذهاب الآن».

واتجهت نحو المخرج الرئيسي، ، جاهدة في اخفاء حرجها.

«ليس من هناك» استخدم الهندي احدى حقائبها الثقيلة ليشير الى باب اصغر، «لقد عادت الطائرة».

الهنود يركبون الاحصنة والعربات، هذا على الاقل ما كانت تعتقده دولسي، حتى وجدت نفسها تجلس الى جانب لويد ساوثويند، حين اقلعت فيها «كيسينا» طائرة صغيرة.

بعد طائرة الجامبو، طيرانها في طائرة صغيرة كان مرعباً.

كانت اذناها ترن من صوت محرك الطائرة حتى فتح لها الباب هندي آخر، مبتسماً لها، «تفضلي من هنا سيدتي».

قال «انتبهي لرأسك».

«شكراً لك» ردت له الابتسامة بامتنان، «لكن ماذا عن امتعتي؟» سألت عندما لم يتحرك لويد ساوثويند لاخراجها.

«سيتدبر هو هذا اللامر» قال الصبي واشار نحو رجل آخر، كان يمشي ببطء باتجاههم «من هنا سيدتي».

تبعته دولسي، واسرعت لتستطيع اللحاق به، حيث القت نظرتها الاولى على البيت.

كان مذهلاً باهراً مؤلفاً من ثلاث طوابق مدهونة بالابيض تحيط به مزارع فسيحة وقطعان.

على الرغم من كبر حجمه، فقد بدت «روز ثالي» كنقطة في اميال واميال من المروج المحيطة به.

كان هناك ايضاً بركة سباحة كبيرة وبجانبها دراجة نارية على الحشيش.

تبعت من جديد الهندي، بينما نظراتها تتجول، حتى وصلت الى الغرفة التي ستكون غرفة نومها لمدة ثلاثة اشهر.

«لديك حمامك الخاص سيدتي انه هناك» فتح الهندي باب موصل، بالغرفة واذا بصوت يقطع حركته.

«حسناً يا مايك، سأتولى الامر من هنا».

استدارت ، لو كان بمقدورها ان ترى جيداً لعرفته على الفور، لكن عيناها ما زالتا مزغللتان من كثرة ما رأت، ومن تناقض الاضواء التي مرت بها، فلم ترى الا ظلال لرجل يقف على الباب وحقائبها على الارض قرب قدميه.

فجأة اعتراها الغضب، هذا الفتى الذي اسمه مايك كان الشخص الوحيد الذي رأت منه ترحيباً حتى الآن منذ وصولها الى كندا، فصممت عدم ارساله بعيداً واستبداله بهذا الفظ.

«افضل لو مايك، اراني المكان!» كادت ان تقسم انها رأته يبتسم، لو استطاعت رؤيته جيداً، بدلاً من ذلك التفتت صوب مايك، متجاهلة له، «اين قلت الحمام موجود؟». سألت.

لكن مايك ظل ينظر اليها، ثم نظر الى الرجل على الباب «هو سيخبرك!» اختفى كل ذلك الترحيب في صوته.

تقدم الرجل نحوها، جاعلاً المسافة بينهما خطوة واحدة.

«احذرك من انك لو اقتربت اكثر، سأكلم السيد مايتلاند!» كانت تعلم انها تتفوه باشياء خاطئة، لكن شيء ما في هذا الرجل قد ارعبها.

«اذاً ستخبرين السيد مايتلاند، اليس كذلك؟» واقترب نحوها

الى درجة ان عيناها المزغللتان لم تخطىء وجهه.

عينان رماديتان دون اي لمحة رقة، خطوط قاسية في بشرة سمراء وشعر اشقر، لم تكن تنظر الى الرجل بل الى السيد، كانت تنظر الى جاي نفسه.

كان اصغر مما تتذكره، اقل من اربعين بسنوات قليلة، ليس اكثر من خمسة وثلاثين، شعره المرتد الى الوراء وعيناه القاتمتان الرماديتان وشفتاه المرسومتان بدقة فوق اسنانه، كل هذا ذكرها بأسد البراري، حيث قرأت مرة عن هذه الفصيلة الاسدية التي تجول في الشمال.

«اذاً انت هنا» قال بهدوء «توقعت منك الانسحاب».

«لماذا؟» كان من الصعب عليها التحدث، وعيناه تثقب لها عيناها، «فقد وعدت جيري بقدومي اليكم، وتلقيت رسالتك ايضاً، لماذا تفكر انني كنت ساغير رأيي؟».

«لانك امرأة، عضو في جنس غير قابل للثبات!» تقوست شفتاه بابتسامة تهكمية.

«كما يبدو ان رأيك ضعيف جداً في ابناء جنسي» قالت بشجاعة، جاعلة بينهما مسافة طويلة، «تفاجأت كيف انك ارسلت لويد ليصطحبني من وايتبيغ لو تركتني هناك لكنت رجعت فوراً الى وطني!».

«مرت الفكرة برأسي!» اعترف بهدوء «لكن كان قد فات الاوان على تغيير الامور» وقف يدقق بثوبها المزهر، فشعرت دولسي بوجنتاها تتورد.

«اتمنى ان تكون راضياً بما ترى، على الاقل!» قالت بمحاولة ثانية للتهكم.

«راض تماماً! انت بالضبط كما اتذكرك، جذابة حتى لا اقول امرأة محببة» رد لها الصاع بابتسامة محنقة قبل ان تقسو ملامح وجهه، ويخشن صوته «لكن المظاهر ليست كل شيء اليس كذلك؟ انها مهمة كانطباع اولي لكن في العمق، تحاول كل النساء استغلال ذلك الانطباع الجيد الاول، فتتلاعب بالوضع الذي تتعمد بتكلف صنعه بجمالها وسحرها لمنفعتها الخاصة!» لوى شفتاه بتشاءم.

«ما كنا نقوله مرة عن المرأة بالعمل كما الزواج هو قضية كاملة، لكن حاولي ايجاد رجل احمق كفاية ليغرم بك بينما تبنين مستقبلك المهني، ثم اتركيه بدون لحظة تفكير عندما تزدهر اعمالك، فتتعارض مع زواجك، بطريقة اخرى» اطبق فكيه فجأة ثم اكمل.

«خذي كل شيء واعط اقل ما يمكنك اعطاءه بالمقابل!».

عرفت انه كان يتكلم عن زواجه، لكن رغبتها في الصراع كانت لا تقاوم، ولن تتنازل عن شيء مثلما فعلت عندما فتح الموضوع بينهما في لندن.

«هذا سخيف جداً» اعترضت «انت تجعل من كل النساء نسخة واحدة، وهذا غير صحيح ليست كل النساء تبحث عن مهن».

«ليسوا ماذا؟» انتقد بقوة، «اذاً لماذا انت هنا؟ اليس لانك لن تحصلي على عمل بالمقابل؟».

«انا هنا، لان جيري اصر على اعطائي اجازة من العيادة» اعترفت دولسي، متسائلة عما يمكن ان يكون جيري قد اخبره.

«لكن السبب الرئيسي لوجودي، هو طلبك لذلك» اضافت بعدما تذكرت الرسالة التي اعادت قراءتها عشرات المرات.

متجاهلاً طلبه في احضارها الى روز قالي «جيري مخطىء، مخطىء كثيراً» اخبرها فاقداً الاحساس.

«احياناً يوجه ردود كثيرة، على تدخل الاصدقاء، بطريقة ما اقنعني بانه اذا لم يوجد تأثير انثوي في حياة لوري ستواجه مشاكل حقيقية عندما تكبر، لكن لوري لا تحتاج الى مثال آخر، على تصرفات المرأة وتفكيرها!» تأجش صوته «سبق لها ان عرفت امها!».

بدا الامر وكأن وجودها في هذا البيت قد فجر كل المرارة التي كان يخبئها، لم تجد دولسي سبيل آخر لوصف هذا الانفجار العاطفي وكأن زوجته قد هجرته امس وليس منذ اثنتا عشر عاماً، شعرت دولسي بتعب مفاجىء، وكانها لم تنم في سرير بحياتها، فأمسكت اول كرسي وقعت عليها يداها.

«بما انك اوضحت ندمك واسفك لمجيئي الى هنا» قالت بحذر «ربما ستكون لطيفاً كفاية لتسمح لي البقاء الليلة، وسأغادر في الصباح، سيد مايتلاند!».

«ناديني جاي» لاحظ تعبها فلم يعط اي تعليق، «لكن اذا ظننت ان اسمي الاول يعني شيئاً فانس ذلك» اضاف بسرعة «الجميع هنا يعرفون بعضهم بالاسم الأول. فلم يحتج الأمر الى تلك المظاهر الانثوية المضللة» نظر إلى ثوبها وحذائها ذا الكعب العالي، «ليجعلني اطلب منك مناداتي جاي!».

فقد وصل الأمر الى آخر قشة، اذا كان ما يريد فعله هو تعمد اهانتها حتى ترحل قبل ان تصل، فلقد نجح بالتأكيد.

«لا اظن ان هناك ما يدعو للاستمرار بهذا، سيد مايتلاند» قالت ببرودة تامة.

«فمن الواضح انك لم تبن فكرة عن أي نوع من النساء انا، بل ايضاً عن دوافعي، لوجودي هنا. انا حقاً آسفة من أجل ابنتك، اذا اخذت عنك كل هذا التعصب ضد النساء، لتناضل به عندما تنمو، على كل حال لا اظن ان وجودي هنا سيجدي نفعاً، سأرحل الليلة!».

طال صمته، بينما كان يحدق بها، هل سيتراجع أم سيرتد عليها منذراً؟ لم توجد طريقة لمعرفة ذلك، خاصة من تعابير وجهه المكتئبة، تقريباً نادمة، لكنها عنت كل كلمة تلفظت بها، لكنها فجأة تمنت لو انها لم تتعجل اعلان الهزيمة.

«قلت لك، اسمي جاي» قال متحدياً «وكيف ستعودين الى وابنيبغ، مشياً على الأقدام؟».

مشت بلا هدف في الغرفة، متمنية ان تصرخ قبل ان تتأكد من استعادتها لاعصابها وسيطرتها على نفسها.

متعجرف ـ اناني ـ متحيز، كل هذه الأوصاف لشخصية جاي مايتلاند الثالث ـ مع انها ادركت ان هذه ايضاً لن تكفي وصفه.

اشارته الى بعد المسافة عن وابنيبغ ذكرها بمدى عزلة المزرعة، وكم جعلت نفسها خاضعة بمجيئها الى هنا، لكنها ما زالت مصممة على ايجاد مخرج من هذا المأزق الذي وضعها فيه جيري بأسرع وقت ممكن.

سمعت طرقاً خفيفاً على الباب، قفزت دولسي بالرغم من علمها، انه لا يمكن ان يكون جاي، فهو بالتأكيد لن يطرق الباب بلطافة، ومن المحتمل ان لا يدق على الاطلاق.

«سيدتي!» فتح الباب، فظهر رأس مايك «طلب مني جاي ان أسألك اذا كنت ستتناولين طعام العشاء في غرفتك ام معه؟».

«هل ستكون لوريل موجودة؟» حيث كانت دولسي متأكدة تماماً، انه لن يسأل بهذه اللطافة، فما سيقوله «اذهب واسأل هذه المرأة اللعينة اذا كانت تريد بعض الطعام» فهذا القول يبدو مناسباً لها أكثر.

«لوري؟» سأل مايك «بالتأكيد، ستكون موجودة».

«اذاً، أخبر السيد مايتلاند، اني سآكل معهم». فإنها ستحاول استغلال هذه الفرصة للقاء الطفلة التي اتت من أجلها الى «روز ڤالي»، على الرغم من انها لا تريد البقاء طويلاً، لأحداث اي تغير في حياة لوري. «في أية ساعة، موعد العشاء؟» سألت دولسي.

«آه، بعد حوالي النصف ساعة».

«نصف ساعة!» نظرت دولسي الى ساعتها، «آه كم هي متعبة، فقد استيقظت وسافرت منذ اربع وعشرون ساعة تقريباً».

افرغت حقائبها وأخذت حمامها، الأمر الذي تفاجأت به حيث كان الحمام معداً بكل شيء يخطر على البال.

كانت غرفتها بالخلف، تقريباً في مركز البيت، شد اهتمامها صوت محرك، فذهبت نحو النافذة لترى دراجة نارية تعبر الحشيش، تاركة اثراً فادحاً عليها.

فاجأتها الحادثة، بالرغم من ان جاي قد أخبرها بتساوي الجميع هنا، الا انها اندهشت من ان هذه المساواة تمادت لتصل الى قيام موظفين بسباق على المرج الأخضر، نظرت دولسي بأسف الى تلك الأخاديد وذهبت.

«هذه ابنتي». قال جاي مشيراً الى شخص بجانبه يرتدي الأسود.

فكرت دولسي، لو ان يده لم تشر الى الشخص الذي بجانبه، لظلته صبي. فهو نفس الشخص الذي كان يتسابق على الحشيش بدراجته النارية.

«مرحباً، لوريل» سمعت دولسي صوت حفيف تنورتها على الأرض، وهي تتجه نحوهم.

«اسمي لوري». قالت بنبرة غير ودية.

«لوري، اذاً» قالت مبتسمة. «كيف حالك؟».

حدقت لوري بها.

«لا تتعجلي الأمر» حذرت دولسي نفسها بصمت. التقبل هو امر صعب وهش، ولديها ثلاثة اشهر لتكسب هذا التقبل من ذلك الشكل الصبياني، العدائي، بشعره الأسود المجعد. ثلاثة أشهر! بماذا كانت تفكر؟ لم يكن لديها ثلاثة أشهر. ليس لديها اي وقت على الاطلاق، اذا استمر الحال على ما هو عليه.

«هاي!» رأت دولسي يد جاي على كتف لوري قبل ان ترد بصوت ممتعض، لكن تجاهلت يد دولسي الممدودة للمصافحة.

كانت تختلف عن ابيها فقط بلون الشعر، حيث كان لونه اشقر، بينما شعرها هي اسود كلون جاكيت الجلد التي كانت ترتديها. لديهم نفس العيون الرمادية.

نظر اليها جاي بفضولية ليرى كيفية تعاملها مع هذا الوضع الجديد، وحرص بفضولية على الابتعاد.

«سمعت الكثير عنك من السيد هيرندين» استحثت دولسي رغبة طارئة لإثبات نفسها، فكسرت لها صمتها «ماذا تنادينه عمي جيري؟».

«لا، جيري» قالت لوري.

«اخبرتك اننا ننادي بعضنا بالأسماء الأولى هنا». قال جاي.

وكأنه متمتعاً بعدم راحتها، وتسليته الواضحة، دفعت دولسي لتقول آخر شيء عندها.

«اظن اني رأيتك تركبين دراجتك منذ قليل يا لوري».

كانت تأمل ببعض ردة الفعل منها، وهذا ما حصلت عليه، لكن لم تكن ردة الفعل التي خططت لها.

«قلت لك انها مخادعة، واشبة! رأيتها تقف قرب النافذة، تتجسس علي!» كان وجه لوري مايتلاند مليء بالحيوية. لكن مشكلته الوحيدة انه يتطاير شرراً وازدراء. نظرت الى أبيها تريده الوقوف الى جانبها «قلت لك، لا تدعها تأتي». قالت بانفعال.

«لدينا بعضنا! لا نحتاج لها!».

«هذا يكفي!» كان صوت جاي جليدياً. «ستعتذرين لدولسي، ومن ثم تصعدين الى غرفتك. واول شيء تفعلينه غداً، قيامك باصلاح، ما افسدته بالمرج الاخضر، انا لا اجعل مايك يمضي ساعات فيها، لتأتي انت وتفسديها عندما تأخذك النشوة! الآن اعتذري!».

كل ذلك خطأ، خطأ. للحظة ظنت دولسي، ان جاي سيستغل الأمر لصالح فظاظته عندما منع ابنته من الكلام، لكن انزال العقاب بها، كان اسوأ شيء فعله، لأن لوري ستذهب الآن الى غرفتها وتقنع نفسها، ان دولسي السبب، مما سيعظم حجم الهوة بينهما.

«اعتذري!» بينما كانت دولسي تصارع افكارها لإيجاد قول مناسب لانقاذ الموقف. أصر جاي.

«انا آسفة!» جاء صوتها منخفضاً ومتجهماً.

اعتقدت دولسي ،ان جاي سيلح اكثر عليها، لكنه ارسلها الى غرفتها. «والآن اذهبي الى غرفتك!» جاي تعامل مع ابنته بقسوة اكثر مما فعل معها، حيث تساءلت، اذا كانت هي الوحيدة التي رأت نظرة الاحتجاج الموجهة اليه من ابنته قبل ذهابها، دون أي كلمة.

«لم آخذ الأمر شخصياً جداً» تكلمت دولسي بعدما سمعت ضربة الباب العنيفة. «لم يحتج الأمر، ارسالها الى غرفتها!».

نظر اليها جاي «لا تتمادي باستخدام المساواة» حذرها «ربما تكونين امرأة متحررة، لكن اقول وافرض كل ما سيحصل في بيتي!».

وصول مايك لاعلامهم «العشاء جاهز» انقذ دولسي من رده الحاسم، فبطريقة تعامله هذه، كان من الممكن جعلها تمضي ليلتها الأولى في روز ڤالي بين البراري.

كان العشاء كمشهد من أفلام اباطرة النفط في تكساس باستثناء، ان هذه كندا، وهي تجلس على مائدة طويلة، وجاي في الجهة المقابلة، بينما مقعد لوري كان فارغاً يبدو ان مايك ايضاً طباخاً مع عمله بالحديقة والبيت. بالكاد تكلم جاي، والوقت الوحيد الذي عاد فيه الى الحياة، عند دخول لويد ساوثويند. وجلس على مقعد لوري، وتناول طعام العشاء معهما.

تضاعف تصميم دولسي على ايجاد طريقة تخرجها من هنا، خاصة عند استماعها لمحادثة جاي ولويد عن أسعار اللحم والحبوب، لكن ردة فعلها الوحيدة كانت عندما خرج لويد، فأدركت ان اليوم انتهى فباستطاعتها الذهاب للنوم، لكن راحتها اضطربت عندما قام جاي وخطى نحوها.

«لابد انك تعبة».

كانت قد دعمت نفسها لاستقبال انتقاد، عدوانية، اي شيء باستثناء اهتمامه غير المتوقع، وذلك الحنان الذي طغى على صوته.

«انا» نظرت اليه وابتسمت ولسبب غير معروف علق قلبها في حنجرتها. «انا آسفة بشأن لوري» قالت بهدوء «يبدو اننا بدأنا خطأ».

تفحصها بعينيه. شحب لونها اكثر من بلوزتها الباج، تضخمت عيناها وتظللت بالحذر، ولفت شعرها هالة من الضوء المنبعث من ورائها.

«لا تقلقي» بالكاد شعرت به يحرك لها كرسيها، كل ما كانت تعرفه انه قريب منها جداً. «انه وضع جديد بالنسبة لنا» اكمل جاي برقة «جميعنا، لدينا الكثير لتعلمه».

الفصل الثالث

جينز. هذا ما كان يمكن أن ترتديه ذلك الصباح، مع قميص ابيض ووشاح على عنقها.

لم تكن تفكر بالسبب الذي يجعلها تأخذ هذه الاحتياطات، سوى تلك الرعشة التي سرت فيها، عندما لمس جاي وجهها قبل ذهابها للنوم.

كانت ايماءة بسيطة، محيرة، ومع هذا فقد حركت مشاعرها، اكثر من أي شيء فعله روس.

روس، الرجل الذي كانت ستتزوجه، والذي ينوي القيام برحلة الى فرع شركته في كالغاري ليتسنى له امضاء بعض الوقت معها خلال فترة غيابها.

كان روس مهندس كيميائي، يعمل بشركة نفط عالمية، وكالغاري لا تبعد سوى مئات الأميال عن روز ڤالي. فقد اكد لها روس، انه سيزورها، قبل ذهابها بيوم.

انتهت دولسي من عقد الوشاح حول عنقها. كان من السخف اعطاء اهمية لما حصل في الليلة السابقة، خاصة انها ارتابت من اهداف جاي باختيارها، ليبرهن ان كل النساء كزوجته، سريعة

التاثر بالرجال. لماذا تركها تذهب عندما احس بارتجافها ولماذا قست ملامحه قبل ان يذهب بلحظة؟.

في كل الأحوال فقد جعلت هذا اليوم حداً لقرارها، اذا كانت ستعود، وستطلب من جاي ان يتدبر امر عودتها، ام ستفعل هذا لاحقاً، اما بالنسبة للآن، فستذهب لتتناول افطارها.

غرفة الطعام التي بدت متسلطة وكئيبة ليلة أمس، بدت الآن اكثر كآبة في وضح النهار، حيث الغبار في كل مكان، وعلى الرغم من ان الأثاث من الطراز القديم الا انه متخدش في كل مكان، وبحاجة لاعادة ترميم ودهان، فتساءلت دولسي اذا كان قد سمح لامرأة بالدخول الى هنا، منذ مغادرة زوجته.

بالإضافة لكون الغرفة كئيبة، فهي فارغة، لا اثر لجاي او لوري، لكن كان هناك كوب من عصير الليمون في المكان الذي جلست فيه البارحة، وذهبت لتجلس فيه ثانية.

لقد لاحظت وهي ترتدي ثيابها ان هناك من بدأ بتصليح الأعشاب، فلا بد انها لوري.

«صباح الخير، سيدتي!» دخل مايك حاملاً طبق.

«صباح الخير» ابتسمت له.

كان مئزره وسخاً الذي يرتديه فوق قميصه وبنطلونه، وكذلك اليدين التي وضعت امامها الطبق لم تكن نظيفة ايضاً.

لكن مايك، لم يجد أي خطأ في ذلك، فابتسم عند وقوفه وراء كرسيها «اعتقدت انك جائعة، لأنك لم تأكلي شيئاً ليلة البارحة» قال بفخر «فأعددت لك كل شيء، لكن اذا احتجت لشيء آخر، فالمطبخ الى جانبك!» وأشار الى باب جانبي.

«لا أظن ذلك». تفحصت دولسي طبقها «هذا يبدو

جيداً. . . !».

«بالتأكيد!» كان مايك راضياً، فغادر الغرفة تاركاً وراءه اثاراً من جزمته على السجادة الشرقية، الثمينة.

كان العصير لذيذاً ومنعشاً، لكن عندما نظرت دولسي الى الطعام الذي اعده مايك لها. خفقت معدتها تقلباً. فقد كان الفطور مكوناً من شريحة لحم وبيضتين مع بعض البطاطا المقلية، تماماً كعشاء البارحة. الا يأكلون هؤلاء الرجال شيء سوى شرائح اللحم. فقد ناقت دولسي الى قطعة خبز مع مربى.

«صباح الخير!» قال جاي. توجه نحو الطاولة وصب قهوة سوداء من غلاية قهوة اوتوماتيكية.

«اتريدين قهوة، ام تفضلين الشاي؟» نظر اليها مباشرة للمرة الأولى.

«قهوة، من فضلك!» تعمدت عدم النظر اليه، لأن كلماتها كانت غير طبيعية وعالية جداً، فابقت نظرها على طبقها. بينما كان هو يصب فنجان القهوة الثاني.

«مايك! أين فطوري!» بدا جاي نافذاً للصبر.

«حاضر، سيدي!» اتى صوت مايك عبر الفتحة المؤدية الى المطبخ.

رشف جاي قهوته، ناظراً اليها، طعامها كما هو، استطاعت دولسي ان تشعر به يراقبها، فتوترت اعصابها، عندما كسر اخيراً الصمت كان بسؤال «هل نمت جيداً؟».

«نعم»، بعمق لأول مرة منذ اسابيع، لم تنزعج بذلك الذنب الذي يطاردها او الشكوك التي تلاحقها، عما سيكون بعد ذلك. كان عليها ان تنظر اليه، اضطرت! لم تستطع النظر الى طبقها

اكثر، لكن معرفة ان جاي ما زال يحدق بها، ابقت عيناها منجذبة نحوه، انقذها مايك، حيث اتى بطبق مليء اكثر من طبقها ووضعه امام جاي.

«شكراً!» تكلم جاي، ودولسي خاطرت بنظرة لتجد انه ينظر الى الصبي الهندي. «اين لوري، هل تعلم؟».

«في الخارج» وأشار مايك برأسه نحو ردهة البيت. «تصلح العشب، كنت اساعدها» اضاف شارحاً سبب عدم نظافة اظافره وجزمته.

«دعها بمفردها!» الأمر في صوت جاي مسح الابتسامة عن وجه مايك «عندما اعطي امراً، اريد تنفيذه في الحال، لوري تسببت بالأضرار وهي التي ستصلحه، مفهوم».

«نعم، سيدي».

«وقل للوري، انني اتوقع منها الانتهاء من عملها اليوم».

«حاضر، سيدي».

لا تقولي شيئاً! لا تقولي شيئاً! حذرت دولسي نفسها، لكنها سمعت نفسها تقول «ألم تكن قاسياً عليه بعض الشيء» سألت.

نظر اليها جاي بارتياب «لماذا؟».

«من الواضح ان مايك معجب بلوزي». تداعت دولسي تحت وطأة نظرته. «من الجيد لها ان تحظ بصديق، عمره قريب من عمرها، واذا اراد مساعدتها فبإمكاني انا مساعدته بعمله في البيت. . . للتعويض». اضافت بضعف لم يقل جاي شيئاً وعاد الى شريكته فطال الصمت قبل ان ينظر اليها من جديد.

«انت» قال «هنا لسبب معين ولا يتضمن ادارة المنزل، هذا عمل مايك وهو سيفعله، اما عملك انت فذلك لاحداث لمسة

نسائية في حياة ابنتي، والآن الوقت المناسب لشرح ماذا يعني ذلك».

«اولاً» قال بسطحية «لن تتعارضي مع سلطتي في منزلي، ثانياً يجب تكييف نفسك مع نظامنا، انا اعلم لوري، وادرسها كل صباح، فبإمكانك امضاء بقية اليوم معها، اذا اردت».

«انت تعلمها؟» لم تستطع دولسي اخفاء دهشتها.

«تجدين صعوبة في تصديق ذلك؟ انا حائز على شهادة جامعية والدير رأسمال ضخم جداً في اعمال الزراعة ولم اخطىء ابداً، الا تظنين ان هذه المؤهلات تخولني تدريس فتاة في الثانية عشر من عمرها، ام تظنين انني غير كفوء؟».

«حسناً، اجل... لا... اعني» ارتبكت دولسي لم تكن تقصد ذلك، وقد ادرك هو هذا الامر.

«بغض النظر عن افتراضاتك» قال «احب ابنتي واريد لها الافضل، بالرغم من سوء حظها لولادتها من امرأة بدائية، لا اعقد النية ابداً على السماح لها بان تكون جاهلة!» لم يخطىء ابداً الآن «لديها عقل ممتاز، واتوقع منها الذهاب الى الجامعة ومن ثم الى مستقبلها المهني».

«ولكن ظننت انك ضد المرأة ذات المهنة؟» لم تفهم دولسي ما يعنيه.

«انا ضد اي شخص رجلاً كان ام امرأة يقيم علاقات او ارتباطات عاطفية ومن ثم يضحي بها من اجل مهنة» قال بهدوء، «حصل هذا معي ومع لوري كانت صغيرة جداً لتتذكر، لكن انا اذكر».

اعتقدت دولسي في البداية انه يتكلم عن زوجته لكن عندما

اكمل لاحظت انه يتكلم عن طفولته.

«اعطانا ابي كل ما يمكن ان نتمناه بيت» نظر حوله الى الاثاث القديم «الامان، عندما دفع رهن المزرعة، اعطانا كل شيء باستثناء وقته، واهتمامه، وحبه» نظر بعيداً، بعيداً جداً في زمان الماضي.

«كلهم ذهبوا الى اماكن متفرقة، ترك امي قبل وفاته بسنة، التي لم تشف بعدها ابداً».

«وانت ستتأكد من ان ابنتك لن تقع بالحب!».

«انا احاول التأكد من انها ستنمو قوية بما فيه الكفاية، لتتغلب على كل ما يمكن ان يخيب رجاءها» صحح جاي لها.

«انا متقبل للواقع انها في يوم من الايام ستصبح امرأة، ولست مزوداً او مجهزاً لتعليمها كيفية معالجة الامر!».

ركز عينيه عليها «هذه مهمتك» انهى كلامه بجفاف «لهذا السبب انت هنا».

«لالقن لوري كيف تكون عضو مطيع في الجنس الاضعف!» اتهمته دولسي.

«اذا كنت هكذا ترين الامر... نعم!» تطارده افكار اخرى، لا يستطيع وضعها في كلمات، «انت هنا لاجل لوري... وليس لشيء آخر!».

كان الوضع مستحيلاً، وستكون حمقاء لو بقيت، اكثر لكن دولسي علمت انها لن تغادر عندما وقفت قرب نافذة غرفة نومها وحدقت بالتصليحات الجزئية في المرج الاخضر.

احتاجت لوري لها، اكثر من اي طفل عملت معه في لندن لكن اذا كان امتعاض لوري يمكن فهمه، فقد كان من الصعب

فهم جاي، ربما لم يرحب الفكرة، لكنه دعاها الى روز ڤالي، ومنذ اللحظة التي وصلت بها، بدا وكأنه يبذل جهداً لاجبارها على الرحيل.

اسرتها مرارته وجروحه من عدم اهتمام ابيه وهجران زوجته له، فبالطبع مع مرور كل هذه السنين لا بد ان تتكون لديه بعض المناعة ضد هذه الجراح.

لو لم تكن مجرد نزوة غريبة، لربما اعتقدت انه متعلق بمرارة كدفاع ضد الغنج الخطير عن عدم تقديم حبه الى اي شخص آخر.

هراء! هزت دولسي رأسها، بالرغم من انها لا تستطيع تجاهل مشاعرها التي حركها فيها جاي، منذ اللحظة التي التقوا فيها بلندن، لا يجب ان تسمح لنفسها ابداً التصور بانه سيتجاوب معها، اضافة الى انها ستتزوج روس، بعد هذه الفترة القصيرة خارج حياتها العادية، ستذهب الى موطنها، وحتى لو انها لن تذهب فهي مجرد متطفل، دخيل غير مرغوب فيه، وسمح لها على مضض التدخل في حياته، لمصلحة ابنته.

فقد اوضح لها ذلك جيداً، ماذا كانت تحتاج لاكثر من ذلك، حتى تفهم، انه لو ترك الامر لجاي، لن تكون هنا ابداً.

الافضل لها الآن امضاء وقتها بالتنزه بالمزرعة بدلاً من الجلوس في غرفتها، لتحليل افكارها، الاسم ربما روس ڤالي، لكنه لا توجد اي وردة على الرغم انه منتصف حزيران والحدائق في انكلترا تكون مليئة بهم.

تجولت خلف البيت، مارة من امام نافذة غرفتها، تجتاز العشب، لفت نظرها بيت قديم خلف الحظيرة، مبنى من

القرميد، وحولة اشجار وكأنه زرعت خصيصاً لحمايته، تقدمت باتجاهه، حيث لاحظت انه مأهول.

«هل تريدين ان تقولي الى اين انت ذاهبة؟».

نظرت دولسي لترى من يكلمها فاذا به لويد ساوثويند.

«فكرت بأن اتجول قليلاً في المزرعة، والسيد مايتلاند جاي، اذن لي بذلك».

فقد اوضح لها جاي ان بامكانها الذهاب الى اي مكان تريده، شرط ان لا تقاطعه في الصباح وهو يدرس لوري.

«هل قال لك جاي ان تأتي الى هنا؟» سأل بحدة، حيرها عنفه لها «لا».

«اذاً ابقي بعيدة!» قال «هذا بيت العمال هم يعيشون هنا رجال!» اضاف ليتأكد من انها فهمت.

قبل ان تبدأ الحمد لويد سخطها ونقمتها بتفسير «بعض الشخصيات التي تعيش هنا اثق بها» قال «والبعض الأخر لن اثق بهم! خاصة امرأة في كل الاحوال هناك الكثير من عابري السبيل المنحرفين، طريقهم من هنا من الافضل لك البقاء بعيداً يا سيدتي».

واكبها في طريق عودتها الى المنزل، حيث تكلما وشعرت دولسي انها حمقاء تماماً.

«آه، فهمت!» قالت «لكن منزل من كان هذا؟» سألته حيث بدا لها منسجماً بالكلام.

«انه لجد جاي، بناه عندما استقر هنا، انتقل جاي منه منذ فترة».

«لماذا انتقل جاي؟» اعتقدت دولسي ان ذلك غريباً، ترك هذا

البيت القديم الجميل بكل سحره والانتقال الى بيت لا حياة فيه.

«هو يخبرك بذلك، اعتقد اذا كان مزاجه يسمح» نظر لويد نحوها «الم يخبرك احد بوجوب ارتداء قبعة».

«قبعة؟» تفاجأت تماماً لهذا التحول السريع بالحديث «لا» قالت.

«اذاً من الافضل ان تجد لك واحدة».

دخل لويد الى المنزل وتبعته دولسي فكان يفتش في خزانة عتيقة في الصالة.

هل ستتأقلم مع هؤلاء الرجال، ومعاملتهم للنساء؟ تساءلت وهي واقفة تراقبه.

«هذه، ستفي بالغرض» نفض لويد الغبار عن قبعة بلون الكريم.

ناسبتها تماماً، وبمجرد ان وضعتها على رأسها، عرفت دولسي فطرياً لمن هذه القبعة.

«هل عرفت زوجة جاي؟» كان السؤال الاخير الذي نوت ان توجهه، نظر اليها لويد مبتسماً، لأول مرة منذ ان قابلته في المطار.

«فاليري؟ بالطبع لكن لا تقلقي» قال «فأنت لا تشبهينها ابداً، والقبعة ليست لها، اذا كان هذا ما يزعجك» اضاف وهو يبتعد.

تساءلت دولسي لمن يمكن ان تكون هذه القبعة، لكنها كانت ماخوذة اكثر بالاسم الجديد الذي تعلمته لتوها.

فاليري، رددته في عقلها، يتميز بالثبات، والتعبير عن الشخصية الفذة، مثل اسم دوروثيا اكثر من دولسي، لكن اكثر ما شغل افكارها قول لويد لها، ان فاليري مايتلاند لا تشبهها على

الاطلاق، في اية حالة يقصد، بالطبع هي طويلة القامة سمراء مع شعر اسود اورثته لابنتها، اما دولسي فصغيرة القامة مع شعر مجعد بلون الجزر.

مختلفة ام لا فكرة ارتداء القبعة التي تحملها بدت لها كريهة.

وفكرة قضاء بقية الصباح على ارجوحة في الحديقة بدت لها افضل من التجول في المزرعة.

وفرت لها الارجوحة بعض الظلال حيث تمددت عليها بتنهيدة، واول شيء فكرت به الاستفسار عن وجود بلدة قريبة حيث بامكانها شراء كريم للشمس وقبعة!.

اقرب بلدة ربما تبعد ملايين الاميال، لكن بركة السباحة كانت قريبة ومغرية.

على الرغم من انها لم تتوقع وجود حمام سباحة فاخر الا انها احضرت معها البيكيني، الذي اختاره لها روس، ليس من النوع الذي تختاره لنفسها، لكن في نهاية اجازتهم في اسبانيا منذ سنة اشترى لها هذا البيكيني بعد ان اضاعت الذي كان بحوزتها، لم تعد تستطيع مقاومة اغراء الماء، فبدون تفكير ركضت وغطست في المياه.

كانت المياه دافئة جداً لمغادرتها، السباحة من الاشياء التي تجيدها، فكانت تصفي لها ذهنها وتريحها من كل شيء.

كانت تسبح باتجاه حافة البركة، حين وجدت نفسها فجأة بين ذراعي جاي.

«اراك وجدت طريقة لتسليتك!» كان مبتسماً لعوباً، اكثر ارتياحاً منذ ان رأته حتى الآن.

اسرها ذلك الشعور بوجودها بين ذراعيه ملاصقة له.

فجأة حاولت الابتعاد عنه، لكن ضغط المياه منعها وبدلاً من ذلك دفعتها نحوه اكثر، ناضلت كثيراً لتبتعد عنه، بعد ان ابتعدت عنه قليلاً، قال بغضب وسخط.

«كيف تجروء على فعل ذلك؟».

«كيف اجروء على فعل ماذا؟» مستجوباً «استعمال بركتي، لأخذ حمام السباحة المعتاد قبل الغداء؟».

«لا، اقصد كيف تجروء...» توقفت دولسي فجأة، وكأنها وقعت في فخ، نصبته لنفسها.

اذا اكملت تفسيرها، لماذا كانت غاضبة الى هذا الحد، فستفتح ابواب الاتهامات عليها.

«كيف تجروء على الغطس واخافتي بهذا الشكل» بدلت اقوالها ونظرت بعيداً لتخفي توهجها.

«اخافتك؟» افتقار صوته لنغمة الصدق، شد نظرها نحوه من جديد لتجده مبتسماً.

-مع شعره المبلل ولمعان اسنانه ذكرها مرة اخرى بالاسد الذي يدرس نقاط ضعف فريسته.

«فقد امضيت بضع دقائق اراقبك ولا اظن انك ستغرقين من الخوف، اذا هذا ما كنت تتكلمين عنه، فأنت تسبحين جيداً لتخشي ذلك» حادثها بهدوء، وقبل ان تسنح لها فرصة تخمين نواياه، سبح باتجاهها بقوة، فوصل اليها قبل ان تحظ بفرصة الابتعاد.

«لنرى ماذا تتقنين ايضاً هل نفعل؟» همس لها الكلمات باذنها، ثم اطبق بفمه على فمها.

قاومته في البداية لكن نضالها لم يجد نفعاً.

في اللحظة التي تجاوبت فيها له، دفعها جاي بقوة بعيداً عنه.

صعقت وارتبكت من تلك القوة المخيفة لتجاوبها ورفضه لها.

قال لها وهو يخرج من البركة «غطي نفسك، سيأتي الرجال في استراحة الظهر».

الفصل الرابع

الذهاب الى غرفة الطعام ومواجهة جاي، من اصعب الاشياء التي فعلتها دولسي في حياتها.

فوجهه لا يظهر شيئاً مما يفكر به، وبالكاد يكلمها مركزاً كل اهتمامه على لوري، لكن حقيقة وجوده هناك كانت كافية لاخذ كل الاحتياطات والتحذيرات النفسية.

يا لسخرية الاقدار، كان ما يقلقها دائماً انها لم تشعر بتلك الشهوانية عندما يضمها روس بين ذراعيه، ولكنها الآن تحس بذلك، وتمنت من كل قلبها، لو لم تفعل.

مجرد سماع صوت جاي، كان يقطع انفاسها.

كيف تجرأ على استغلالها هكذا! حاولت دولسي اخفاء خوفها بغضب كانت تعلم انه مزيف.

مجرد معرفتها ان هذه غلطتها كما غلطته تلك الدقائق في البركة، شيء لا يمكن احتماله.

كانت المياه هي التي ابقتها بين ذراعيه، لكن لم تخلق المياه ردة فعلها، والشيء الوحيد الذي يمكنها عمله الآن، على الاقل اعادة احترام نفسها وذلك من خلال تأكيدها انه لن يحصل شيء

مماثل ابدا.

لكن ماذا لو لم تحظ بالفرصة؟ فجاي يذكرها دائماً ان جيري هو الذي اصر على ذهابها الى روز ڤالي.

ماذا سيحصل لو انها الآن اكدت له كل شكوكه السوداء عن النساء، بالتأكيد سيطلب منها الرحيل فوراً، فهو لا يريدها مثال لابنته.

تكوّن هذه الفكرة المؤلمة جعلها تنسى انها تمسك بشوكة، فوقعت منها محدثة قعقعة مما جذب انتباه جاي اليها بنظرة فضولية.

كم هي غريبة الحياة! هذا الصباح فقط، كانت هي التي تفكر بالاصرار على اعداد الترتيبات اللازمة لرحيلها، والآن كل ما تريده، السماح لها بالبقاء.

«لكن بابا، قد خططت ان اذهب على دراجتي بعد الظهر!» صوت لوري المرتفع في حديثها مع ابيها جذب انتباه دولسي «لقد وعدت مايك...».

«اذن عليك اخبار مايك، انك فسخت وعدك» قاطع جاي «اريده ان يساعدني هنا، وانت تدرسين دروسك، ثم تتجولين مع دولسي في المزرعة».

«لكن بابا...!» احتجت لوري من جديد.

«هذا يكفي» زمجر صوت جاي «ستفرجين دولسي المكان، وهذا امر!» وقف مواجهاً دولسي «بتلك الطريقة ربما يمكنكما الابتعاد عن ايذاء اي شخص وعلى ارض جافة!».

لا يمكنه اغاظتها! لا يستطيع! فكرت دولسي، فقد كان ينظر اليها وكأنه يشاركها سر ما حصل في البركة.

«على فكرة» نظر الى لوري من الباب «لا تركبي على دراجتك تلك مرة ثانية الا بعد اذني، فقد تسببت باضرار كثيرة بها حتى الآن».

«اللعنة!» قالتها لوري بعد ان اختفى حتى صوت اقدام جاي، ومع ذلك قالتها بصوت منخفض اذ ربما اعادته حاسته السادسة.

نظرت دولسي الى صحنها بحذر، وابتسمت فقد كانت ما تزال محملة بتلك الافكار المخيفة عن طردها فابتسمت ثانية لاسباب غير منطقية فشعرت بتحسن.

«على ماذا تضحكين هكذا؟» دفعت لوري كرسيها الى الوراء لتقف وتحدق بدولسي، «لا يجب ان افاجأ اذا كنت انت وراء كل هذا!» صفعتها كلماتها.

«وراء ماذا؟» سألت دولسي بحذر.

«تحريض ابي على حرماني من دراجتي النارية!» شعرت لوري انها تعامل باجحاف وكانت تبحث عن سبب.

«انت هنا، لتعليمي كيف اكون سيدة، اليس كذلك».

اكملت بانفعال «والسيدات لا يركبن دراجات!».

تجاهلت دولسي ازدرائها، «لا اظن ان اباك قصد حرمانك منها نهائياً» قالت بعقلانية «ربما عندما تهدأين، يمكنك ان تذهبي وتطلبيها منه ثانية».

تفحصتها لوري بدقة، فخفق قلب دولسي لانها مثل ابيها تماماً «هل تظنين انه سيقبل؟» قالت تدريجياً.

«السؤال لن يضيرك بشيء».

اختفى غضبها تدريجياً «الن تمانعين؟».

«لا ولماذا امانع؟» ارتبكت دولسي من سؤالها.

«لأن السيدات لا يركبن دراجات متسخة، وانت هنا لتحويليني الى سيدة» ابتسمت لوري.

لأول مرة ابتسمت بالفعل، فاعطت دولسي امل بعلاقة جيدة لكنه تبدد في فترة بعد الظهر عندما امتثلت لوري لتعليمات ابيها، في التجول مع دولسي في المزرعة.

الجزء الاول من فترة بعد الظهر كانت مملة.

جلست دولسي في غرفتها وحيدة، تكتب رسائل واخيراً، نظرت الى ساعة يدها، فخرجت من غرفتها لتبحث عن لوري من اجل جولتهم في المزرعة.

كانت دولسي تعلم ان غرفة جاي في آخر الرواق وغرفة لوري وراء غرفتها، او في الغرفة التي خلف غرفتها، ولكن اي واحدة هي؟ وقفت تتحزر ناظرة الى الابواب المغلقة، طرقت بيدها على الباب الاول، فلم يجب احد، لكن لوري ممكن ان لا تجيب، ففتحت الباب لتنظر، فصعقت من هول المفاجأة.

كانت تنظر الى غرفة امرأة ذات ستائر وردية وسجاد وردي لكن الاكثر من هذا انها مجهزة بكل شيء ومعبقة برائحة العطور وكأنها مأهولة، لكن كيف يمكن ذلك؟ لم تأت امرأة الى روز قالي منذ اثنتي عشر عاماً.

«ماذا تفعلين» ارعبها الصوت فقد كان قاسياً، كصوت جاي «لا يجب ان تدخلي الى هنا، فهذه غرفتها!».

لا بد انها عنت امها، اذاً لماذا كان جاي وزوجته يعيشان في غرفتين منفصلتين تلك الافكار اربكت ادراك دولسي، والغريب ايضاً الاعتناء بهذه الغرفة وكأنها مقدسة، بينما كان جاي يحتقر زوجته، ومن الطبيعي ان يتخلص من كل شيء يخصها، لكنها

اكتشفت ان جاي غير منطقي، منذ ان حاول اغاظتها وقت الغداء بقصة بركة السباحة.

«هل تريدين ان تتجولي في المزرعة ام لا؟» استدارت لوري تاركة دولسي وراءها حتى تتبعها.

تجولوا في المزرعة، حيث شاهدوا الحظائر والمروج. وكان هناك ثلاث سيارات، بورش كاديلاك، ورولز رويس، لكن ولا واحدة من هذه السيارات ظهر عليها الاستعمال، بقدر ذلك الجيب المتوقف في الزاوية.

«رجل غني، رجل فقير!» هذه الملاحظة التي ابداها جيري في لندن، بدت منطقية اكثر الآن.

بامكان جاي توفير كل ما يريد او يتمناه باستثناء السعادة.

عبقت رائحة القش في الاجواء، فقالت دولسي محاولة كسر الصمت «هل تحبين العيش هنا؟».

لكنها لم تلق اي جواب، فحاولت ثانية «ماذا تحبين ان تفعلي عندما تكبري؟».

لم تستدر لوري نحوها «ان اكون مثل مايك» قالت باقتضاب.

«مايك؟» كان هذا آخر رد توقعته دولسي، «تقصدين انك تحبي العمل كمدبرة منزل؟».

«بالطبع لا» نظرت اليها لوري بازدراء «اريد ان اصبح مهندسة ذلك ما سيصبحه مايك».

«مهندس».

تنهدت لوري كيف يمكن لاحد ان يكون بهذا الغباء؟.

«سجله ابي في الجامعة» قالت بصبر «سيبدأ في الخريف، يقول ابي ان كل انسان يستحق الفرصة لتحسين نفسه، اذا كان

لديه الشجاعة والامكانية» تكلمت بوضوح مقتبسة كلماتها «لذلك دفع مال للويد ليحصل على رخصة لقيادة الطائرات، بامكان لويد تكوين اعمالاً خاصة به الآن، لكنه يحب البقاء معنا».

اذا هذا يفسر اخلاص لويد الكلي لهم، واوضح ايضاً جانب من شخصية جاي، التي لن تحلم دولسي ابداً بوجودها.

«لكن مايك سيذهب ويعيش في مكان آخر اذا اراد ان يصبح مهندساً، اليس كذلك؟».

اغمضت لوري عينيها «اعتقد ذلك» اخفت مشاعرها «ابي سيحتاج لشخص آخر لرعايتنا، هذا كل ما في الامر».

«هل تحبين ركوب الخيل؟» حدقت لوري بالخيول ثم نظرت الى دولسي بحماسة.

«لا ادري» ترددت دولسي، فهذه خطوة للامام، لكن.

«لم اركب خيل منذ ان كنت طفلة» اضافت.

«هل انت خائفة!» عاد الازدراء الى صوت لوري.

«لا لست خائفة، فقط انني كبيرة جداً!» حاولت دولسي المزاح، لكن لوري لم تتأثر.

«ابي عمره خمس وثلاثون» قالت «وهو لا يخاف من ركوب الخيل!».

ادركت دولسي من خلال حاستها السادسة، ان جاي لن يوافق على ذلك، فتتعقد الامور اكثر ولن يضيع اي وقت بطردها.

تفرقت الاحصنة عند اقترابهم، فرجعت الى الوراء بسرعة.

«لا تخافي، لن يأذوك» ابتسمت لوري تطمئنها.

«الافضل ان تركبي على باولر العجوز، فانتما متشابهان قليلاً».

تفحصت دولسي من المهر الابيض والبني الذي كانت لوري

تسرجه، فلم تجد اي تشابه.

كانت لوري راضية تماماً سعيدة.

كم هي حمقاء لتستسلم الى افكارها عن ماذا سيقول جاي، فهذه النزهة يمكن ان تكون نقطة تحول في علاقتهما.

«هل انت بخير؟» سألت لوري وهما يتجولان على احصنتهم.

«بخير، ما هذا هناك؟» افتلتت دولسي يدها بشجاعة عن لجام الفرس واشارت الى غيمة غبار متحركة في الافق، لكنها كانت تقترب اكثر واكثر.

ضاع رد لوري في تلك الجلبة والضوضاء، حيث حاول الرجال جمع القطيع الجافل من تلك الزوبعة.

فجأة تحول باولد من عجوز، الى سهم يعدو نحو القطيع المسيّر الى المزرعة.

لم ينحرف المهر لم يحاول رميها، فقط يعدو بسرعة مذهلة نحو القطيع.

عرفت لوري يائسة اعتراض طريقهم، لكن الحصان كان سريعاً جداً، ودولسي خائفة، عالقة على السرج، كان قد بدا لها مريحاً، لكنه الآن كالفخ، يدفعها الى آلاف من القرون المسنونة الشريرة لا تستطيع فعل شيء لانقاذ نفسها، بعد ان اصبحت في منتصف القطيع الآن، وعلا الغبار بامواج عمياء تسد انفها برائحة القطيع الطاغية لم تشعر دولسي بعدها بشيء سوى ان احداً امسك بجسدها لينزلها عن الحصان «ماذا تظنين نفسك فاعلة؟ اتحاولين قتل نفسك؟».

ارتج الصوت في جمجمتها «الا يمكن ائتمانك للحظة بالابتعاد عن المشاكل».

«انا آسفة» اتى جوابها حزيناً ومثيراً للشفقة، كما لم يكن كافياً، لكنها لم تستطع التفكير بشيء آخر لتقوله حيث نظرت الى تعابير وجه جاي الراعدة الغاضبة.

«حسناً، والآن فكرة من كانت ركوب الخيل؟» تنقل نظر جاي بين دولسي ولوري.

اخفضت لوري رأسها، بينما اجبرت دولسي نفسها على مواجهة عينيه الفولاذيتين.

«فكرتي» قالت بادئة بصمت اعتقدت انه لن ينتهي.

في طريق عودتهم الى البيت، خلع جاي قبعته، ووقف قبالتهم، وامر احد العاملين بأخذ المهر الحظيرة. وابقى دولسي على حصانه، حيث اجلسها امامه، حيث تبدد خوفها من ما حصل لها وتحول شعورها الى ذلك الرجل الجالس خلفها. عند وصولهم الى البيت، آلمها ذلك الشعور بأنها ستتركه.

استنتج جاي، ان ما يعتقده رائعاً، ربما هي ستظن انه يخترع الأمر، لأحداث الفة ومودة. فلم يكن في صوته سوى الغضب عندما أمر لوري كي تتبعهم.

«اذاً، هي فكرتك في الركوب اليس كذلك؟» صوت الرجل الذي ملأ افكارها، ارجعها الى الواقع، بخيبة أمل.

نظرت الى لوري، لكن لوري كانت تتفحص اصابعها.

«أجل» قالت.

كان من الخطأ، ان تأخذ اللوم على عاتقها. فكل ما قرأته وتعلمته خلال عملها مع الأطفال في لندن، اقنعها ان الصدق هو الطريق الوحيد. مهما كانت دوافعها جيدة الآن، فلوري قد سمعتها تكذب، وربما لن تثق بكلمتها بعد الآن ابداً.

عذرها الوحيد كان انها الآن في روز ڤالي، لمدة طويلة، لاصلاح الأمر، لذلك تحملت اللوم لتنقذ لوري من عقاب ابيها الكبير.

«واظن انها فكرتك ايضاً ان تركبي على باولر!!».

اكمل جاي.

«هذا صحيح!» رمت دولسي كل مشاعر التحفظ جانباً.

«بدا هادئاً وسميناً، كما ترى» اضافت، ملاحظة انها بحاجة لتفسير، لاصرارها على هذا الحصان دون الآخرين، لأنها لم تكن تعرفهم، ولم تأت الى روز ڤالي الا منذ اربع وعشرون ساعة. اربع وعشرون ساعة!! لقد حصل معها الكثير في هذا الوقت القصير الذي بدا وكأنه دهر.

«في تلك الحالة، اظن، يجب ان تذهبي الى غرفتك».

نظر جاي الى ابنته. «فسنتحدث انا ودولسي قليلاً».

هذه هي المرة الأولى، التي يلفظ فيها اسمها، كادت دولسي ان تحظى بنظرة الاعتذار التي وجهتها لوري لها، حين التفتت سريعاً، حين سمعت اسمها.

«اتريدين اخذ بعض الشراب؟» فتح جاي خزانة زجاجية، واخرج كأسين من الكريستال.

«مابك اريد ثلجاً!» نادى، واخرج زجاجة ويسكي جاودار.

«لا... نعم اعني، لا أدري». لماذا صدى اسمها على شفتيه جعلها مضطربة؟ لقد سمعته ملايين المرات من قبل، لكن ليس بهذا الصوت الذي اذا ما سمعته سرت قشعريرة في جسدك. ثم فكرت للحظة، عندما قال بعض الشراب، ظنت انه سيقدم لها كوب من العصير وليس كأس ويسكي.

«اذا كنت غير متأكدة، اقترح ان تقولي نعم».

«ملأ جاي الكأسين. «لدي شعور، انه لن يعجبك ما سأقوله لك الآن».

الغثيان الذي شعرت به في معدتها ذلك اليوم، عاد اليها الآن. كان على وشك ان يطلب منها الرحيل عن روز ڤالي، ولا يمكنها فعل أي شيء لذلك، بعد الآن، كما لم تستطيع فعل شيء عندما ارعبها الحصان باولر حتى الموت.

«تفضل، سيدي!» قال مايك حاملاً مكعبات الثلج. «العشاء بعد ساعة، هل يناسبك هذا؟» سأل قبل ان يغادر.

«ماذا؟... نعم، هذا جيد» بدا جاي فجأة مشغول البال، كما كانت هي.

ماذا يحدث بها؟ فكرت ملياً، قبل ان تلمس اصابع جاي يدها، حيث ناولها كأسها.

فهي في بيته منذ اكثر من يوم، ولم يحاول في هذا الوقت تبديد انطباعها، بأنها هنا ضد ارادته.

كيف اذاً، لن تخشى فكرة طردها؟

«اجلسي!» اشار جاي الى الكنبة، فجلست دولسي وجلس هو على الطرف الآخر.

«انا اعلم انك كذبت بشأن ما حصل اليوم» قال بجفاف. «ما اريد معرفته هو لماذا؟».

اخذت بالمفاجأة كلياً، وشعرت بالدماء تتدفق الى وجنتيها.

«كيف عرفت؟» سألته، محاولة اطالة الوقت.

«لأن باولر حصان متقلب، ولا نقدمه للزوار ابداً».

توقف ثم قال «الآن اخبريني انها فكرتك وليست فكرة

لوري!».

بالتأكيد، حاولت لوري قتلها متعمدة؟ فكرة عودتها الى الوطن كانت بلا امل، لكن جاي اساء قراءة افكارها وصمتها.

«آه، تعالي الآن» سخر منها، «بدون مراوغة! على الاقل عهدت فيك الصدق، لكن على ما يبدو انني مخطىء، فانت ككل النساء، لا تعرفين قول الحقيقة!» نظر اليها باحتقار.

«كان هذا كثيراً! فجأة توقفت دولسي عن القلق حول طردها، وبدأت تحقن نفسها بغضب كلي، اذا كان هذا الاستبدادي، الغير محتمل، العنيد، يريد الحقيقة هذا ما سيحصل عليه.

«اخذت على عاتقي تحمل المسؤولية لانني اظن انك قاس جداً على لوري» قالت بفظاظة، «اظن انك تغالي بردة فعلك، عندما تخطىء، وايضاً اظن انك لو استمريت في معاقبتها على هذا النحو، سينتهي بك الامر، في اجبارها على الهرب والابتعاد عنك».

تماماً كما ابعدت زوجتك فكرت بهذا القول لكنها لم تقله.

مرت لحظات صمت تام وهو يحدق بها دون اي امل في ابداء اي تفهم منه، فجأة تفوصت ملامحه، بقساوة.

«في المرة القادمة، عندما تقررين حماية ابنتي» قال بعنف «تذكري انك هنا لاعدادها لتصبح سيدة جيدة، وليس لتعليمها الكذب!».

الفصل الخامس

ظلم ادعاء جاي ارسل دولسي خارج الغرفة، غير قادرة على الكلام، وموجه الغضب التي افتعلتها، غمرتها في الايام القليلة المقبلة، احياناً، كانت تفكر انها فشلت على الأقل في اثبات وجهة نظرها بعقلانية، مقارنة بهدوء مهنتها القديمة، فقد كان بعض اهالي الاطفال التي تراهم في العيادة في لندن، يوجهون لها كلاماً اسوأ من ذلك!.

عندما تسترجع الحادثة في عقلها، تجد نفسها تحترق من تلك الاهانة المحيطة وتشعر بغضب هائل كيف تجرأ على الكلام معها بهذه الطريقة! خاصة انها كل ما كانت تفعله هو محاولة منعه من ابعاد لوري، لكن ربما هذا ما يريده!.

ربما هجران زوجته تركه متوهماً من النساء، حتى انه سيضحي بابنته ليثبت وجهة نظره.

في اوقات احباطها من استحالة القيام بالعمل الذي اتت من اجله، تصل دولسي الى الحد الاقصى من معاناتها، لتحرم امتعتها وتطلب الرجوع الى وطنها.

لكن ما هي القضية؟ سألت نفسها في احدى الليالي عندما

ارادت تنفيذ فكرتها، وكانت قد وضبت بعض من اغراضها في الحقائب الموضوعة على السرير.

جاي سيرفض بدون شك، فكرة عودتها!، او جعل لويد يرجعها الى واينيبغ، حتى تناسبه الفكرة والتأمل بالبقاء هنا، بانتظار اذنه، ومعرفة انه يتمتع كثيراً باعترافها بالهزيمة، كان اكثر من قدرة اهتمامها.

والطيران هو السبيل الوحيد الى واينيبغ، بعد ان عرفت مدى ابتعاد المزرعة عن اقرب مطار افرغت ثيابها من الحقيبة واعادتهم الى الخزانة.

في فترة بعد الظهر من ذلك النهار، اخذ معهم الوصول الى روز تاون ـ بلدة مجاورة ـ حوالي الساعة، وكان جاي يقود بسرعة جنونية، وبالرغم من ان روز تاون فيها خط للسكك الحديدية الا انه خط فرعي، يستعمل غالباً لشحن الحبوب.

اخبرها جاي عندما لاحظ نظراتها الى اسماء تلك العربات الرومنطيقية، انها اسماء من كل اميركا الشمالية، يذكرها كم هي بعيدة عن موطنها.

اعتقدت ان جاي قد ادرك ما كانت تفكر به، ان القطار قد اعطاها فكرة ان تأتي بسيارة اجرة الى روز تاون وتذهب بالقطار الى واينيبغ.

لكن كان هذا خطأ تماماً كانطباعها ان اختفاء محبس الزواج من يد جاي ذو دلالة واهمية.

لاحظت انه لا يضعه في اصبعه في طريق عودتهم بالرغم من ان لوري معهم، الا انها تقرأ كتاباً كوميدياً، الجو كان متوتراً حيث يجتازوا الاميال دون ان يتفوه احد بكلمة.

ارادت ان تتأكد من انه لا يرتدي خاتمه فدققت النظر في يده الموضوعة على المقود جيداً، كان يرتديه في لندن، لماذا اختار الآن ان يخلعه عندما وصل الى البيت؟ لماذا قرر اخيراً ان ينزع آخر رمز لزواجه؟.

اللغز الصغير، حيرها هزت رأسها بعنف وعادت لتضع ثيابها في الخزانة، مع تقبل الواقع انها قد علقت هنا، بالاضافة الا انها لا تستطيع الذهاب الآن، فقد قارب منتصف الليل.

هذه هي المرة الاولى التي ابتعدت فيها عن المزرعة استقرت حياتها في المزرعة بعد عدة ايام من انفجار جاي فيها، كل اوقات الصباح لها، لتفعل ما تريد، شرط ان لا تتدخل بدروس لوري، في ذلك الصباح بينما كانت تترقب انتهاء على الاقل اربع ساعات من الفراغ، ذهبت الى المطبخ وساعدت مايك.

لم يكن لديها اي فكرة، اذا كان جاي يعلم انها تخالف اوامره، لكن لماعية الاثاث الذي فركته جيداً حتى آلمتها يدها، اعطاها قليلاً من الرضا، ان عملها قد انجز جيداً.

لو ان لوري فقط تظهر بعض الدفء لها، لكنها دائماً متجهمة ومبتعدة.

ماذا كانت تأمل بانجازه؟ فكرت دولسي في تلك الفترة من بعد الظهر عندما كانت تقف هي ولوري متكئتان على حافة السور، ينظرون الى الرجال المستعدين للذهاب الى السوق، ومنتظرين جاي لايصالهم الى البلدة.

وضعها ليس بلا امل فقط بل غير حقيقي كلياً ـ الشعور بانها تعيش في فيلم عن الغرب القديم ورجال يرتدون ثياب رعاة البقر واحذيتهم مع تلك القبعة يسوقون قطيع من الثيران الصغيرة،

وعدم ثقة لوري وسوء ظنها بها.

لكن ماذا كانت تتوقع غير ذلك؟ فمهما كانت دوافعها جيدة في القاء اللوم على عاتقها، فقد سمعتها لوري تكذب، وقد ادركت انها مخطئة، ولا يمكنها لوم لوري الآن على عدم ثقتها.

صح وخطأ! اسود وابيض! ابتسمت دولسي بكآبة على هذا التشابه لا يوجد شيء ابيض واسود في مزرعة روز ڤالي، كانت تتعامل مع انفعالات، والانفعالات لها طريقها في قلب الاشياء الى الرمادي، تماماً كعيني جاي.

ادركت منذ البداية ان جاي يلاحظ كل شيء، حيث لاحظ انها اضاعت قبعتها التي قدمها لها لويد.

«اذا كنت لا تريدين الاصابة بضربة شمس، فانت تحتاجين الى واحدة اخرى».

قال وهو يأكل تفاحة قدمها له مايك بعد الطعام.

«انا مضطر للذهاب الى البلدة بعد قليل، بامكانك المجيء معي».

تدخل لوري المفاجيء منع دولسي من الكلام.

«هل استطيع الذهاب معكم، انا ايضاً؟» توسلت لوري.

«ماذا عن دروسك؟».

اعتقدت دولسي للحظة ان جاي سيرفض.

«سأنهيها عندما نعود» قالت بسرعة.

«حسناً اذاً» قال جاي «كونوا جاهزين بعد عشر دقائق في الحديقة».

«شكراً يا بابا» ركضت لوري بكل حيوية الاطفال نحو غرفتها.

هل من الممكن ان يكون جاي قد اخذ بكلامها عندما نصحته

ان يكون لطيفاً مع ابنته؟.

لا قررت دولسي مؤخراً، فقد كان جاي ببرودته المعتادة وهو يقود الجيب مرتد الدنيم الازرق، الذي اضفى عليه جاذبية جسدية.

لم تجد نفعاً، محاولة تذكرها لروس، بعد ان لاحظت انها لم تشعر باي ذنب لعدم تفكيرها به منذ ايام، فملامحه وصورته لا يمكنها محو حقيقة وجودها بالقرب من هذا الاسد البري الفاتن.

بمجرد وصولهم الى البلدة تركتهم لوري وذهبت الى اقرب متجر لشراء بعض الحلويات لها بعد ان وعدتهم باللحاق بهم.

«حسناً الى هنا» حيث اخذها مباشرة الى متجر البسة.

«اهلاً جاي! سأكون معك بعد قليل».

الجميع هنا يعرفون بعضهم فصاحب المتجر رحب بهم وذهب الى غرفة خلفية تاركاً اياهم وحدهم.

«اعتقد ان هذه جيدة» بينما كانت تفكر بغرابة كل ما حولها، كان جاي يتجول في المتجر وانتقى لها قبعة كالتي اضاعتها، رأتها في يده، ولم تُرها.

كل ما استطاعت رؤيته، هو انعكاس صورتها في عينيه، فخفق قلبها بعنف، لكنها ارادت ان تنكره فلم تستطع بعد ان رأت صورة امرأة بلا أمل، وبلا قوة على شفير خطر الحب.

انقذها ظهور صاحب المتجر، وكذلك وجود لوري معها في الجيب، انقذها من معرفتها انه من السهل عليها المجازفة بعواقب علاقة حب مدمرة ومشؤومة. عندما كانت مع جاي وحدهما في غرفة الجلوس.

ذهبت لوري للنوم بعد ان تبدد صوت غسيل الاطباق من

المطبخ، باستثناء صوت فنجانها عندما تضعه على الصحن، وصوت جاي منقطع بقلق، فقد كانوا في سكون تام.

راقبته يتحرك ذهاباً وإياباً، على السجادة.

ولم تعد تحتمل هذا الصمت المطبق فقالت اول شيء خطر في بالها «يجب ان تدعني ادفع ثمن القبعة، التي اشتريتها بعد الظهر» يا الهي، هل هذه هي حقاً، كم بدت سطحية وغبية؟.

«لا تكوني حمقاء!» اخبرها صوت جاي انها كذلك حيث وقف على بعد بضع خطوات فقط «انها على حسابي الخاص» قال «وسيدفع الحساب عندما تأتيني الفاتورة».

«ولكن احب دفع ثمن اغراضي بنفسي!» لانها بدأت لا يمكنها التراجع الآن، «لا احب ان اكون ملزمة بشيء».

حدق بها بسخرية «في هذه الحالة» قالها بطريقة جافة.

«لست فقط امرأة فذة، بل تحررك هذا سيكلفك اربعين دولاراً!».

«ساحضر حقيبتي» وقفت مرتاحة لهروبها، لكن قبل ان تتقدم خطوة، وقف قبالتها وامسكها بكتفيها «يوجد وقت كثير لذلك» قال بثقل «انت لا تدركين كم من السهل استفزازك!».

السبب في هذه اللحظات القليلة كانت تلك القبعة لن تأخذها معها، عندما ترحل، ستتركها كذكرى لايامها في روز ڤالي، ولم يكن لديها ادنى شك، انها ستكون الذكرى الوحيدة منها.

هذا ما كانت تفكر به وهي تستعد للنوم في غرفتها حيث تعيد امتعتها الى الخزانة من على السرير مهما حاولت مدح نفسها، لن تستطيع تحسين انطباعها لان كل ما فعلته وقالته اكد لجاي ارتيابه بالنساء.

فكل ما استطاعت انجازه حتى الآن منذ قدومها الى ساسكاتشيوان، الوقوع في حب جاي.

لم تشعر هكذا ابداً من قبل، فالحياة ممزوجة بالحذر والترقب، وشعور يستحثها على الافصاح عن ما يختلج فيها.

«توقف!» تردد صدى كلماتها في الغرفة بعد ان رأت شخصاً يركض امام غرفتها.

كانت لوري مرتدية بيجاما وروب، فتحت دولسي باب غرفتها متسائلة، ماذا حدث في الدنيا لتسترق السمع؟.

«ماذا تفعلين يا لوري؟» سألت.

«كنت ذاهبة لشرب الماء».

كان جوابها سريعاً وحاسماً، وهمت لوري بالذهاب، لكن لفت نظرها حقائب دولسي المفتوحة على السرير، فتوقفت.

«لم اقصد ذلك!» قالت بصوت فيه الكثير من المعاناة.

«لم تقصدي ماذا؟» ظنت دولسي انها تتكلم عن تصنتها ووقوفها وراء الباب، لكن ما قالته لوري كان غير متوقعاً.

«لم اقصد قتلك! لهذا انت راحلة، اليس كذلك؟ اعتقد انك علمت انني تعمدت ركوبك على باولر، لكن لم اردك ان تقتلي - صدقيني! اردت فقط ان اخيفك لترحلي - لكن لا اريد ذلك الآن!».

لم تكن كلماتها واضحة، لكن ما برز جلياً، ان لوري كانت تعاني من الذنب منذ تلك الركبة المجنونة نحو القطيع.

«من الافضل ان تدخلي» فتحت دولسي الباب جيداً، فدخلت لوري، بعد ان نظرت باتجاه غرفة ابيها بيأس.

«والآن» سألت دولسي، وهي تقفل الباب خلفها «ماذا كنت

تقولين، انك لم تقصدي قتلي؟».

«انت لا تعرفين حقاً؟» تفاجأت لوري.

«لا، لا اعلم شيء».

«لكني ظننت ان ابي اخبرك عن باولر».

«قال شيئاً، لكنه لم يشكل اي منطق بالنسبة لي، في حينها، لم نجد اي شيء منطقي بعد الحادثة.

«ربما، من الافضل ان تخبريني انت، فتشعرين بتحسن» ابتسمت دولسي.

«حسناً بولر حصان مخادع» اخذت لوري نفساً عميقاً وابتدأت. «يعطيه لويد للرجال الذين يريدون العمل هنا، ليرى قدرتهم على ركوب الخيل، فعندما قلت انك لم تركب الخيل منذ زمن طويل، ظننت انها ستكون نوعاً من الدعابة، اذا ركبت على باولر، فاعتقدت انه سيتعب منك ويرميك ارضاً» انهت كلامها ببراءة.

«وظننت انها ستكون نوعاً من الدعابة!» حيث حاولت اخفاء ابتسامتها، على الرغم من انها ارتاحت عندما علمت ان لوري لم تنو خبثاً حقيقياً، فقد كلفها الامر كثيراً لتأتي وتعترف، ولم تكن لتتركها ترى ان اعترافها مسلياً.

«اعتقد، انني غرت» اكملت لوري بصوت منخفض جداً.

«منك، ومن ابي، اقصد...» مترددة «كان لا يوجد في البيت هنا، غير انا وابي، وعندما قال لي انك قادمة... حسناً، فكرت انه يجب التخلص منك، لكن عندما رأيت ما حدث ولم تفسديني شعرت انني حقيرة».

«اذاً كنت تنتظرين خارجاً حتى تستجمعي شجاعتك لتعترفي؟» كل شيء بدا واضحاً الآن.

ادارت لوري رأسها بعيداً «حاولت الليلة الماضية لكنك كنت نائمة».

«آه، لوريل!» شعرت بالاسف، فخطف دولسي نحوها.

«لا تناديني لوريل» رفعت لوري رأسها وحدقت بدولسي بعينين متوهجتين، «مجرد اعترافي لك، انني لم احاول قتلك، ليس معناه اني اريد ان اكون فتاة!».

هرعت خارج الغرفة، ابتسمت دولسي على الاقل تقلب مزاجها من الاعتذار الى الغضب كان افضل من برودها وعدم اهتمامها، التي كانت لوري تعاملها بهما سابقاً.

كل ما عليها تذكره الآن، هو عدم مناداتها بهذا الاسم ثانية، على كل حال، فالاسم لن يؤثر بشيء. فهي عمدت باسم دوروثيا أليس على اسم جدتيها، وتشك بان احد قد ناداها باسم دوروثيا منذ ولادتها.

لوري لن تحتاج مناداتها بلوريل، لتصبح امرأة.

كانت بداية لبداية جديدة مع لوري، لكن لموازنة ثقل هذا التحسن، كان جاي بارداً وقاسياً اكثر لدرجة تجعلها تعتقد انه من المستحيل وجود دم وجسد حار تحت كل هذه البرودة وعدم الاهتمام.

اصبحت راحة البال شيء من الماضي، تلك الايام التي كانت يجب عليها اخذ قرارها، بالتوقف عن العمل والزواج من روسي، بدا الآن وكأنه جزء من ماضي ساكن، لا ينتمي اليها بشيء.

فقد علقت بين ملاحظتين مرعبتين، انها تقع في حب رجل، يحتقرها، وفي افضل الحالات يحتمل وجودها في بيته، وبين شعور طاغي بالذنب بشأن روس.

كان الوضع كله لا يحتمل لكنها لا تستطيع تغييره، ولا تغيير نفسها، عند وصول رسالة من روس تقول انه تدبر رحلته الى كالغاري، بقيت مستيقظة لساعات طويلة من الليل، بعد ان يغرق المنزل في صمت الليل وسكونه.

احبت روس لكن ليس بقوة، وكادت ان تجن من اضطهاد نفسها لحبها لجاي، لان وجودها هنا كان رغماً عنه، فقد نطق بهذا ليلة وصولها.

فقد لمسها في بركة السباحة، لانها رمت نفسها بين يديه، وانقذها لانها كانت غبية بما فيه الكفاية لتركب حصاناً، لا تستطيع السيطرة عليه، ماذا كانت تحتاج اكثر من ذلك، لتدرك كيف يفكر جاي مايتلاند بها!.

ارتدت روبها وخرجت من الغرفة، طالبة بعض البرودة، فاي شيء سيكون افضل من البقاء في الداخل، غير قادرة على النوم او التوقف عن التفكير.

كان الظلام دامس في الخارج دون ضوء القمر، والنجوم بعيدة جداً، وقفت دولسي قليلاً، لتتعود عيناها على الظلمة.

اقتربت من بركة السباحة، التي تحولت من بقعة سوداء الى مساحة فضية لامعة، ممزوجة بالازرق يحيط بها الزنبق البري.

ريح البراري السرمدية، توقفت لاول مرة منذ وصولها، كل شيء جامد، لا يتحرك. مشت باتجاه الباحة الخلفية للمنزل.

مرت امام نافذة غرفتها المضيئة. السير بهدوء في ظلمة الليل، اراح عقلها، حيث مشت بلا هدف وبدون اي غرض ولم تفكر لابما حصل ولا بما يمكن ان يحصل.

صهل حصان بصعوبة في مكان ما قريب منها، حيث تبدلت

الارض تحت قدميها من العشب الى رمل.

عندما اقتربت اكثر اجفلتها اصوات اجشة ممزوجة بضحك وصوت تكسير زجاج، حيث علا صوت لويد ساوثوبند غاضباً، استيقظت من حالتها حيث لاحظت دولسي انها مشت في دائرة كبيرة، فاقتربت من بيت العمال، رأت الرجال من خلال النافذة، فاستدارت عائدة الى البيت فقد استطاعت تخيل ردة فعل جاي، اذا اخبره لويد انه رآها قريبة من هنا.

«تتطوس امام العمال!» بالتأكيد سيكون تعليقاً مريراً، «تتسببين بمشاكل مع الرجال!» ربما تعليق آخر فكرت هكذا، وهي ممتنة للاصوات التي جذبت انتباهها، حيث مشت دولسي بسرعة وبهدوء الى البيت.

شعرت بتحسن لنزهتها، ربما اذا ذهبت للنوم الآن، ستستطيع ان تغفو.

رأت شيء ما وهي تجتاز اسطبل الخيل، اسود مثل الخيل، لكنه شيء آخر ظنت في البداية انه سرج او ثياب نسيها احد العمال، لكنها علمت انها مخطئة فجأة تحرك بهدوء وبوضوح اصبح شكل رجل ينظر باتجاهها اول ما فكرت انه ربما احد المنحرفين الذين يمرون من هنا الذي حدثها عنهم لويد، قبل ان تستطيع التفكير بتغيير طريقها لتهرب نادها الرجل «من هناك؟».

كان هذا صوت جاي، ولشدة راحتها ارادت ان تريه نفسها، لكنه لم يخطو اكثر من خطوتين باتجاهها، قبل ان يخفق قلبها بطريقة غير منتظمة وبدأ نفسها يتقطع في حنجرتها.

«من هناك دولسي؟ هذه انت؟».

تكلم جاي بحدة، لكن عندما اقترب اكثر ورأى وجهها الابيض

البيضاوي في ضوء القمر، الذي ظهر من وراء الغيوم بعد ان حجبته مدة طويلة، تغير صوته.

«انا آسف» قال بلطف «لا بد انني اخفتك».

«انا بخير» تمتمت دولسي لو يهدأ خفقان قلبها لكن اعتذاره الاول هذا ممزوجاً مع اهتمامه الشخصي.

«لا داعي للخوف» قال «انا الشخص الوحيد الذي يأتي الى هنا في الليل، تعالي، سأوصلك الى البيت» طوقها بيده، لكن هناك شيء اكثر من الخوف جعل دولسي تبعد يده عنها.

«لا داعي لذلك اقصد افضل البقاء في الخارج لبعض الوقت» ارتجلت لتشرح رفضها السريع.

«المكان هادىء وجميل» اضافت بيأس.

«انا متذهش انك لا تأخذين بعين الاعتبار اهون الشرين» تحولت عيناه من اللون الرمادي الى الفضي في ضوء القمر، وهو يسخر منها.

«اهون الشرين؟» ارتبكت دولسي.

«الذهاب الى البيت واعظمهم البقاء هنا بمكان هادىء، لكن وحدك معي».

«نحن بالكاد وحدنا» قالت بتكلف حيث انفجرت اصوات العمال والضحك من مكان سكنهم.

«لا لسنا وحدنا، اليس كذلك؟» تشددت ملامح جاي بوضوح «كم انا غبي لانسى! في هذا الاتجاه فقط تظهر الخيالات» واشار نحو ظلام الاسطبل.

«والا، هناك الكثيرين من الناس المحيطة بنا، بالطبع لسنا وحدنا».

عاد ونظر الى الخيول، فعلى الرغم من انه ينظر باتجاههم لم يراهم بدأ الصمت يبني بعض الحذر والتوتر، الذي بالكاد يمكن احتمالهما.

«كيف تجري الامور معك، بالنسبة للوري؟».

اتى سؤاله في لحظة اعتقدت فيها انه نسيها، وفكرت بالذهاب، تفاجأت وتوقفت مجبرة نفسها على ادعاء الاحتراف والبرودة في مهنتها، التي بالكاد شعرت بهما.

«من المبكر جداً الآن الرد على هذا السؤال» نغمة صوتها المعتادة كانت مطمئنة، حيث اعطتها القوة على التفكير بعقلانية اكثر.

هل يجب ان تخبره عن اعتراف لوري العاطفي، الذي كان نقطة تحول مهمة؟ لا، من الافضل ان لا تفعل، حذرت نفسها. من الافضل لها ان لا تتورط في مناقشات عاطفية، خاصة انها على وشك الانهيار.

نظر اليها جاي للحظة ثم استدار، اما اقتنع بجوابها، او تقبل عدم تقدمها، والصمت الذي كسره، ها قد عاد من جديد.

«اخبريني - انت كخبيرة نفسية - ماذا تنصحين الشخص الذي يتعرض لموقف يجرحه بشدة؟».

اجاب جاي على سؤاله قبل ان تستطيع الرد.

«تجاهليه، اعتقد، وانتظري حتى يذهب من تلقاء نفسه».

«ليس بالضرورة» افترضت دولسي انه ما زال يتكلم عن لوري، بالرغم من ان لوري مشكلة لا يمكن ابعادها، حتى لو كانت ستكبر لتصبح امرأة.

«لا يوجد حالتين متطابقتين، كما لا يوجد شخصين متشابهين

تماماً، يمكن ان تنتهي بطريقة مختلفة».

«اذا انت تنصحين بتحذير تفاؤلي؟» كان تعبير وجهه محيراً بالنسبة لها.

الى ماذا كان يستدرجها بالضبط؟ بدأ قلب دولسي يخفق بنغمته المعتادة.

«يمكنك قول ذلك» ردت بسرعة آخذة نفسها.

«في هذه الحالة...» توقف جاي «هل احببت في حياتك؟» سألها بدلاً عن ما كان سيقوله.

«لا» اجابته دون تفكير، فكان جوابها معاً صادقاً وكاذباً، فالبرغم من ان الجميع يعلم انهالا تحب روس، فهذه هي الحقيقة على الاقل، لا يمكن الشك بها بعد الآن، الا انها احبت روس، او على الاقل، لم ترفض ابداً حقيقة انها ستتزوجه في يوم من الايام، مهما قاوم قلبها ذلك.

«انت ترتجفين!» لاحظ جاي «البس هذه».

نزع الكنزة عن كتفيه ووضعها عليها.

«لا، لا احس بالبرد» ابتعدت دولسي.

«هل تتوقفي عن محاربتي وتضعي هذه؟».

قربها منه بقسوة لطيفة، ووضع يديه على كتفيها بعد ان البسها الكنزة.

«هل لديك اي فكرة» سألها بنعومة «كم تجعلين علي صعباً الاعتذار لك؟».

«الاعتذار؟» نسيت شعورها وهي بين يديه، نسيت كل شيء باستثناء سماع الكلمة الوحيدة التي عرفت انه من المستحيل سماعها.

«هذا صحيح الاعتذار!» اكد لها جاي «كما يبدو لك الامر غريباً، فانا نادم على كلام قلته، وامور حصلت، واود ان نبدأ بداية جديدة».

«ليس عليك معاملتي بشكل مختلف عن اي شخص آخر اتعلم!» قالت لتكسر ذلك السحر الذي سيطر عليها.

ضحك حيث برقت اسنانه البيضاء بضوء القمر، واحنى رأسه فوق رأسها «بالله عليك يا امرأة هل تكفي عن محاولة ان تكوني متحررة او متساوية، او ماذا تسمين نفسك!».

قربها اكثر نحوه، حيث توقف عن الضحك.

«انت ترتجفين ثانية» قال برقة «تعالي سأوصلك الى البيت».

www.elromancia.com

الفصل السادس

اعلن جاي في اليوم التالي عطلة للجميع، قضت دولسي معظم اوقاتها معه، في جولات طويلة عبر البراري على الخيل، بينما لوري الى جانبهم تمرح على مهرها الاسود، حيث تعلمت دولسي بسرعة ركوب الخيل على الحصان الذي انتقاه لها جاي.

في احد الايام اخذوا الطائرة وحلقوا الى الغرب البعيد، ثم عادوا الى المزرعة.

لكن الشيء الوحيد الذي لم يفعلوه هو السباحة، فقد تذكرت دولسي ان جاي قال لها في احد المرات انه يسبح كل يوم قبل الغداء، لكنه لم يأت على ذكر السباحة ابداً، بينما كانت دولسي تتوق لها فتطول النظر الى تلك المياه الزرقاء الصافية، عند عودتها الى البيت في يوم حار بعد جولة مليئة بالغبار.

لكن لماذا معارضة النظام؟ سألت نفسها.

جاي تغير، لكنها ايضاً تغيرت لكن ليس لمنفعتها وراحة بالها، لم يعد بامكانها الادعاء اكثر انها لا تحب جاي، لكنها لا تملك اي دليل او اشارة ان جاي ممكن ان يقع في غرامها ابداً.

هذا اللحم والعظم هذه الانفعالات والمتناقضات التي تطورت

عبر الزمن لتكون جايسون مايتلاند الثالث.

كانت تعلم انه يجدها جذابة، لكن بشكلها الخارجي فقط. عادت للتفكير بروس، لكن بطريقة مختلفة حيث احست بعدم حاجتها للشعور بالذنب بشأنه وعدم احتياجها لتكتب له، محاولة وضع وتنسيق شكوكها وتفهمها بشأن زواجهما بكلمات واسطر منمقة.

فعندما تنتهي الثلاثة اشهر في روز ڤالي ستعود الى لندن وسيكون كل شيء على ما يرام، كالعادة وقد وجدت صعوبة باستحضار صورة روس الى ذهنها، خاصة بوجود جاي الى جانبها كاليوم مثلاً، حين بدا لها ارتقاب او التأمل بالزواج من روس، مستحيلاً.

كانوا عائدون من نزهة قرب النهر، ورائحة وطنها تخلب البابها، حتى حصانها الهادىء كان يقفز بعند، فركب جاي وراءها ووضع يديه بلطف على لجام الفرس.

«لا، ليس هكذا». ارخى لها قبضتها برقة «اذا سحبتها الى الوراء، سترجع وتصهل، ولأنها اقوى منك، ستغلبك، اعطها فرصة لتبدو كسيدة! اتركي لها اللجام وكلميها!».

فقد جعلها ترى، كيف عادت الفرس الى مشيتها الطبيعية، وتركاها جاي ولوري وراءها.

اعترتها فجأة مشاعر خوف، عندما لمست يد ببطء، ذراعها.

«آه، ما اجملها!» دخلت لوري الى غرفة دولسي قبل العشاء، ووقفت قرب الخزانة، مشيرة الى فستان حرير وردي.

فستان! لم تصدق دولسي سمعها. فلم يتغير جاي وحده اذاً.

«لماذا لا ترتدينه الليلة؟» اخرجت لوري الفستان من الخزانة،

ودارت به، سعيدة بألوانه، فعلق الفستان بحقيبة دولسي، فوقعت كل اغراضها على الأرض.

«سأرتبهم لك!» ركعت لوري لتجمع الأغراض المنتشرة.

«من هذا؟» سألت لوري.

دولسي كانت راكعة ايضاً، تبحث عن احمر الشفاه الذي تدحرج تحت السرير، عندما تكلمت لوري ببراءة ساذجة.

«من؟» استدارت دولسي، مستفهمة، ثم تجمدت.

فقد كانت لوري تحمل صورة روس.

«صديق!» نعتت دولسي نفسها بالجبن، فقد كان روس اكثر من صديق.

«يبدو لطيفاً» نظرت دولسي الى ظهر الصورة، لترى اذا كان يوجد تعليق ما، ام لا؟ فجأة لم تتذكر اي شيء، كل ما استطاعت التفكير فيه، هو ذلك حتى لو امضت بقية عمرها نادمة ووحيدة، كل ما عليها الآن هو الكتابة الى روس، لتعلمه انها لا تستطيع الزواج به. فليس من العدل ابقاءه معلقاً بها. قلّت رسائل روس في المدة الأخيرة، لكنه ليس سبباً لعدم الكتابة له، خاصة قبل ان يأتي الى كالغاري.

«هل ستتزوجينه؟» حوّلت لوري انتباه دولسي الى الصورة مرة ثانية، بدقة مخيفة.

غيري الموضوع! غيري الموضوع! حذرت نفسها.

«هو مهندس» قالت «كما تريدين ان تصبحي تماماً».

«حقاً؟» نظرت لوري الى دولسي «اذاً هو مثل مايك ايضاً. اتعلمين»، اضافت وهي تضع الصورة جانباً. «يجب ان تسألي ابي اذا كنت تستطيعين البقاء، فنحن بحاجة لشخص يرعانا ويهتم

بنا، بعد ذهاب مايك الى الجامعة».

«بالطبع، بالطبع..» طردت دولسي الفكرة من رأسها. لكنها على الأقل عرفت ان وقوعها في حب جاي ليس الشيء الوحيد الذي انجزته منذ قدومها الى روز ڤالي.

فقد تغيرت لوري كثيراً، حيث اصبحت اقل عدوانية، واقل مقاومة ورفض لكل شيء انثوي.

مشاكل اقل عندما يحين الوقت لترك أبيها وتأخذ مكانها في ذلك العالم المشتمل على النساء.

في احد الأيام، اخذتها لوري الى وادي يبعد عن المزرعة لناحية الغرب، يقطعه نهر سطحي.

كان مليئاً بالمنحدرات والكهوف. وقد اخبرتها لوري ان بعض هذه الكهوف لم تطأها قدم انسان.

«يمكنك الأختباء هنا لأشهر، دون ان يعثر عليك احد»، قالت لها لوري بثقة العارف.

«لن اريد ذلك، ابداً». ارتعشت دولسي.

بالرغم من الشمس الساطعة، الا ان للوادي جواً مخيفاً، مليئاً بالأشباح، وجانبيه معتمتين وكانه مخبأ لوحش قديم.

«لوري، اين فرسك؟» ارتجفت دولسي.

فقد تحول الحصانان الذان جلباهما معهما الى واحد، حيث وقف حصان دولسي في الظل، لكن مهر لوري الأسود، اختفى.

«آه، يا إلهي!» تذمرت لوري «ربما اجفله خلد او شيء ما!».

نزلت بضع خطوات لتتبع اثار حوافر مهرها.

«يبدو وكأنه نزل الى هناك». مشيرة نحو مجموعة اثار حوافره متجهة الى قاع الوادي.

«ابق هنا! وسأذهب لاحضاره!».

«ألن تسرعي اكثر لو اخذت... حصاني!» تلاشى صوت دولسي، فقد ابتعدت لوري ما فيه الكفاية، عن مجال السمع، راكضة وكأن الحرارة لا تتعدى الثمانين وكأن الأميال التي قطعتها على الحصان، لم تكن سوى نزهة لطيفة..

جلست دولسي في الظل تنتظر عودة لوري، لكن غيبتها طالت، فقلقت كثيراً، وصارت تتمشى ذهاباً وإياباً، الى ان سمعت صوت لوري من بعيد ماشية تجر مهرها الأسود، الذي كان يعرج.

«كان علي أن أسير لأميال حتى اجده، ولم يدعني امسكه» شرحت لها «اظن انه وقع، انظري الى ركبتيه!».

كان الحصان يرتجف من الخوف والتعب.

«لن استطيع ركوبه» ارتعش صوت لوري بحزن، «وماذا سيقول أبي، يا دولسي؟» شكت لها.

عليهم العودة الآن إلى المزرعة، بأسرع وقت ممكن.

«علينا ان نتبادل الركوب في عودتنا» قالت بسرعة.

«يمكن لأحدانا ان تركب الفرس، والثانية تمشي، وتجر المهر وبعد قليل نتبادل. هيا يا لوري، لقد سرت كثيراً فلك الركبة الأولى».

العودة الى البيت تحولت الى مشقة طويلة وبطيئة.

وعند غياب الشمس، كان ما زال امامهم اميال للوصول. كانت هي السائرة على قدميها، تجر المهر عندما انعطفوا نحو الطريق الخاصة المؤدية الى البيت. هناك احد ما بالتأكيد يراقبهما، فكرت بتنهيدة راحة. لكن لم تملك اية فكرة عن مدى بعد المسافة،

لكن على الأقل اذا اكملوا هكذا لن يضيعوا، فتصبح المسألة مسألة وقت فقط للوصول الى البيت.

رأت انوار المزرعة من مسافة بعيدة، وعندما اقتربوا منها استطاعت رؤية رجل واقف عند الباب المضيء للمنزل. ورأت الطائرة متوقفة على المدرج.

تحرك الشخص نحوهما، فكان هو جاي يخطو عبر الحقل.

«اين كنتما بحق السماء؟ ارسلت رجالي الى الوادي ليبحثوا عنكما!» تأججت عينا جاي بالغضب.

«انه خطأي يا أبي» قالت لوري بشجاعة.

«عندما اريد سماعها منك، سأخبرك وانزلي عن ذلك الحصان!» وجه جاي اوامره للوري وهو يحدق بدولسي.

«هل لديك ادنى فكرة، عن الوقت الآن؟» سألها «ألا يمكن ابداً الوثوق بك لتتصرفي بمسؤولية؟ خذي هذه». توقف ليعطي لجام المهر الى لوري.

«خذي هذه الخيول الى الحظيرة ثم اذهبي واخبري لويد، انكم عدتم، ودعيه يلقي نظرة على المهر، الذي يبدو انك الحقت الضرر به!».

«لكن يا أبي...».

«الآن، لوري!» حدق بها ثم بدولسي، بينما ذهبت لوري باتجاه الحظيرة.

«والآن»، مستجوباً لها «ربما، لديك من اللطف ما يكفي لتخبريني اين كنتم!».

«هل يهمك الأمر؟ لقد عادوا الآن، وربما باستطاعتنا ان نحظ ببعض السلام، ونتناول العشاء بهدوء!».

جاء الصوت من باب البيت ضجراً. فهذا الصوت الأنثوي الأول الذي سمعته دولسي منذ ان اتت الى المزرعة، ومن الواضح انه ينتمي لامرأة تملك السلطة، الأمر الذي جعل جاي يوقف استجوابه لدولسي ويتجه نحو البيت.

«ادخلي»، قال بجفاف «لدي شخص، اريد ان اعرفك عليه».

امسك ذراعها وأوقفها وجهاً لوجه مع اجمل امرأة رأتها في حياتها.

الفكرة الأولى التي خطرت في بالها انها ڤاليري.

كل شيء عن الأناقة، الشعر الأسود، كل شيء اتى مطابقاً للصورة التي رسمتها في ذهنها عن زوجة جاي السابقة.

ڤاليري مابتلاغد، نجمة أفلام! واحبتها الكاميرا. لا عجب ان تزوجها جاي! شعرت دولسي بأول لدغات الغيرة تطعنها.

«دولسي مورتيمر - كورين باترسون» عرفهم جاي. لم تتحرك كورين، لعدم اهتمامها على الأطلاق بها. كورين باترسون. لابد ان هذا الاسم الفني لڤاليري. وقفت دولسي شاعرة بضيق.

«كيف حالك؟» اعادت يدها التي تجاهلتها المرأة قبالتها.

«السيدة باترسون صديقتنا». اراد جاي ان يلطف الجو. لكن بدلاً من ذلك ازداد سوءاً بالنسبة لدولسي. فإذا كانت زوجة جاي السابقة ووالدة لوري. فلها الحق ان تأتي الى روز ڤالي ساعة تشاء، لكن كصديقة. فبالتأكيد قد تلقت دعوة حتى تأتي، وبالطبع جاي الذي سيكون قد دعاها. الذي لم يترك فرصة، الا وأوضح عن مشاعره واحتقاره للنساء، كل النساء، لكن على ما يبدو باستثناء كورين.

لكن شعاع بريق أمل في خاطر دولسي، فقد عرفها جاي بالسيدة

باترسون، ربما زوجها هنا ايضاً.

«كم انت خبيث يا عزيزي!» قالت كورين ناظرة الى جاي «كيف يمكنك ان تقول، اننا مجرد اصدقاء بعد كل ما بيننا؟ وفي جميع الأحوال، فأنت من انقذني من وحدتي وحزني بعد فقداني نلسون!».

فالسيدة باترسون ارملة الآن، فهي حرة، وباستطاعتها الزواج ثانية، وبالتأكيد لم يظهر اي اسى في نظرتها الى جاي التي انتقلت بعدها نحو دولسي، وكأنها تعلن لها بأن جاي من ممتلكاتها الخاصة.

نظرت دولسي لترى انفعالات جاي حول فكرة ان يكون من ممتلكات سيدة، فلم تستطع رؤية وجهه، لكن ليس هذا المهم. فهو الذي دعا كورين لتأتي الى المزرعة، كل شيء قد توضح لها الآن، الغرفة ذات اللون الزهري والقبعة، والاختفاء المفاجيء لخاتم الزواج من يد جاي.

ماذا تحتاج اكثر من ذلك ليعلمها ان حبها الأحمق المجنون اصبح الآن يائساً اكثر مما كانت تدرك؟ فجاي على وشك الزواج للمرة الثانية.

«اتريدين كأساً؟» تحرك جاي نحو الخزانة الزجاجية. فمنذ ان بدأت تساعد في الأعمال المنزلية. لم يعمل مايك ابداً سوى في المطبخ.

«آه، عزيزي، أود ذلك!» كان صوت كورين، رقيقاً ونحاوياً، لكن عيناها السودوان لا تقارن بعيني دولسي الخضراوين، فقد وُضعت خطوط المعركة وعليها معرفة مكانها تماماً.

«سأحضر بعض الثلج» تركت دولسي الغرفة بسرعة.

كان العشاء مريعاً تماماً كإحساسها من ذلك الوادي العميق الذي كانت فيه مع لوري. اخذت دولسي حمامها وبدلت ملابسها، وارتدت ثوبها الملون الذي اعجبت به لوري، فبالمقارنة مع ثياب كورين الأنيقة، لم تعرف ماذا يمكن ان ترتدي غيره.

وقد أدركت دولسي ان كورين هي الأجمل والأكثر اناقة، وبالتالي مزيج من الثقة بالنفس والتماسك.

لم تتوقف كورين عن الكلام ابداً عند العشاء. كان حديثها كله موجه الى جاي، فقد تكلمت عن لندن. «ما زلت لا استطيع فهم، تركك فجأة لكل شيء والعودة مسرعاً الى هنا. فلم أر أي حاجة لذلك حينها، وما زلت الى الآن» وأكملت كلامها وكأن دولسي غير موجودة.

«فقد فوتت علي حفلة آل بنسون بسبب رحيلك، واضطررت للذهاب الى حفلة كوفنت مع ذلك الأبله روبين نايش!» واستمرت بإكمال كل العوائق التي تسببت بازعاجها من جراء رحيل جاي المفاجيء عن لندن.

تحت هذه القشرة الجميلة، توجد امرأة غبية وفاسدة. تساءلت دولسي كيف ان جاي غير قادر على رؤية نفسيتها، وبدلاً من ذلك جلس بابتسامته المعهودة.

«انت دولسي من لندن».

استطاعت دولسي بعد ثانية ربما، ان تنتبه الى ان اسمها قد ذُكر، فرأت جاي ينظر اليها بعينين راقصتين.

«آه، حقاً؟» نظرت اليها هذه المرة، عينين داكنتين على مضض. «أين؟».

«ريتشموند، اسكن في شقة مع زملاء لي في الجامعة» قالت

دولسي.

اعادت كورين تركيزها الى جاي «عزيزي». قالت «لما لا تأتي معي الى نيويورك الأسبوع القادم؟» اكملت كورين محادثتها، محاولة اقناع جاي.

«أكرهها!» انعكس وجه لوري في مرآة غرفة نوم دولسي، تلك الليلة.

«انا اكرهها ايضاً!» احبت دولسي قول ذلك لكنها عادت الى رشدها «لماذا؟».

«لأنها دائماً تأتي الى هنا، وتحاول اخذ ابي بعيداً معها». امسكت لوري بفرشاة شعر دولسي وسرحت شعرها. «كان لديها زوج مرة، هل تعرفين. احضرته الى هنا. كان غنياً لكنه لطيفاً - فقد احببته لا عجب انه تخلص منها!» انهت حديثها برضى تام عن هذا القرار.

اذاً، كورين مطلقة. ماذا؟ تساءلت دولسي، انها اخذت انطباعاً عنها كارملة؟ لكن مطلقة او ارملة، لن يغير الحقيقة شيء، بأنها حرة لتتزوج جاي.

الفصل السابع

«لماذا تنظرين اليّ بهذه الطريقة؟».

لاحظت دولسي انها كانت تحدق بالمرآة في وجه لوري.

«لا ادري» قالت متملصة. «كنت افكر فقط». وبجهد كبير اجبرت نفسها على الابتسام وأخذت الفرشاة من يد لوري. «الا تعتقدين انه من الأفضل لك الذهاب الى الفراش؟ الوقت متأخر، ولديك دروس في الصباح».

هل سيكون هناك دروس؟ تساءلت، عندما غادرت لوري الغرفة مكشرة. هل سيعود جاي الى نظامه المعتاد، ام سيقرر اخذ اجازة، ليمضي كل دقيقة فيها مع كورين الجميلة؟ في نيويورك! خلعت دولسي ثيابها لتستعد للنوم. فقد كانت منهكة جسدياً. لكنها علمت انها لن تستطيع النوم. فبدأت بتسريح شعرها، مفكرة بكورين. لماذا لم يذكرها جاي ؟ بالتأكيد، يعلم بأمرها. لكنه لم يفكر ربما انها تأتي روز ڤالي كلما تسنح لها الفرصة، لتبرهن انها زائرة طويلة الأمد.

الغرفة الزهرية، اثبات كافٍ على ذلك. لماذا لم يخبرها جاي عن كورين او يعتبرها الدليل المناسب لتوجيهها في سن مراهقتها؟

والأهم من ذلك، لماذا جاي لم يعتبرها كذلك؟

«لماذا نسيها جاي؟ لماذا اعطاها سبباً للأمل؟

«كل هذه الأفكار راودت دولسي وهي تسرح شعرها. حتى جرحت رأسها.

لا! لماذا تخدع نفسها، لم يعطها جاي اي أمل كل ما فعله هو الاعتذار والتمني ببدء صفحة جديدة.

لم يعطها جاي أي سبب، لتنجرف بأحلام وخيالات عن حياتها معه ومع لوري. فهي التي صنعت هذا العالم مرتكزة على بعض النظرات والابتسامات وبعض أيام سعيدة.

قذفت دولسي فرشاتها نحو الطاولة. اذا كانت كورين نائمة في الغرفة الثانية فهذا سيوقظها! يا لها من نظرية ان جاي يكره النساء.

ربما يسيء الظن بجنس حواء عامة، لكن، يبدو ان ليس لديه هذه الشكوك بالنسبة لأحد اعضاء هذا الجنس.

«دولسي، هل تسمعيني؟» تدحرج صوت روس عبر أسلاك الهاتف، لكنها استطاعت سماعه جيداً. «هل وصلتك رسالتي؟».

«رسالة؟ اية رسالة؟» بدا روس منذهشاً، وتنهدت دولسي براحة. بالطبع لم يصل روس اية رسائل، فقد كتبت له البارحة فقط.

«اذاً ما الأمر لماذا تتصل؟ هل حصل شيء ما مع اهلي او اهلك؟».

«حصل شيء ما؟ لماذا يجب ان يحصل شيء مريب حتى اتصل بك؟» اجاب روس. «جميع الأهل بخير. اتصل بك لأن...» بدا وكأنه يقول شيئاً لكنها لم تسمعه بسبب الخطوط

الرديئة . . . «لأنني لا ادري متى يمكنني المجيء لرؤيتك. فقد عرضت علي الشركة فرصة رائعة بالتوقف عند حقول النفط التابعة لها في طريقي. فسأذهب الى كالغاري بطائرة الشركة، لكني لا ادري بالضبط متى».

«آه، فهمت!».

«لا تبدين سعيدة لذلك»، علق روس «كيف تجري الامور عندك؟ لم تذكري الشيء الكثير في رسائلك».

«آه جيدة!» كانت دولسي منقبضة «روس، لا بد ان هذه المكالمة تكلفك ثروة!».

«لما المال؟» سمعته يبتسم «لكن اذا كان هذا يزعجك، لن ابقى على الخط!» هل كانت هذه مخيلتها، ام ان روس بدا مرتاحاً لعدم ودها في محادثة طويلة، «انا اتصل بك فقط لاخبرك انني غير قادر على اعلامك بالوقت الذي سأراك فيه، سأكلمك من كالغاري عندما اصل الى هناك، دولسي هناك شيء آخر».

«ماذا لديك لتخبرني» سألت عندما لم يتكلم.

«بعد التفكير، ربما من الافضل لو انتظرت حتى اراك».

قال روس، «الموضوع معقد قليلاً لشرحه على التلفون بكل الاحوال، لكن لا تقلقي، واهتمي بنفسك».

ودعته واقفلت الهاتف كانت جبانة وقد عرفت ذلك كان عليها اخبار روس برسالتها، قبل ان تصل اليه ويقرأها، لكن كما قال روس هناك اشياء من التعقيد بحيث لا تستطيع شرحها على الهاتف. اشياء كأن تقولي للرجل الذي يتوقع الزواج منك، منذ طفولته، انك لا يمكن ان تكوني زوجته.

الحب، هو اهم شيء في الحياة قالت في رسالتها، لكن ليس

الزواج لمجرد الزواج.

هذه الرسالة كانت من اصعب الاشياء التي فعلتها دولسي في حياتها اعطتها للويد ليضعها في البريد الرئيسي قبل ان تحاول تغيير رأيها.

غمرها احساس عامر بالحرية عندما رأت الطائرة تقلع لكنها ليست حرة، وقد علمت ذلك وقد تأكدت من ذلك عندما سمعت صوته.

«اخبار سيئة من الوطن؟».

استدارت دولسي عن التلفون بسرعة فتفاجأت به يقف امامها مباشرة حتى انها لصقت به، تمنت لو انها تستطيع البكاء الآن.

لماذا، آه لماذا اتى الآن وهي تحاول تجنب البقاء وحيدة معه طيلة اسبوع منذ قدوم كورين؟ لماذا اختار هذه اللحظة، حيث جميع دفاعاتها منهارة وهي على وشك الانهيار بين ذراعيه؟.

لكن بدلاً من ذلك تصلبت ورفعت رأسها لتحدق بعينيه، «اخبار سيئة؟ لا» قالت بنبرة دفاعية «لماذا اعتقدت هذا؟».

«لانك بدوت بائسة، وموهنة وواقفة هنا بمفردك قرب الهاتف. . . لهذا عرفت ان الاتصال من الانكلترا».

تفحصها بابتسامة صغيرة «لا بد ان اهلك اشتاقوا لك حتى يتصلوا من انكلترا».

«نعم اعتقد ذلك» ليس هناك داع لتخبره انه لم يكن من اهلها.

«ولا بد انك اشتقت لهم ايضاً؟» قال.

«ليس على وجه التحديد» لا تستطيع احتمال اقترابه منها اكثر من ذلك فابتعدت دولسي عنه «لم اسكن في البيت منذ ان بدأت الجامعة».

«بالطبع كم انا احمق!» لم يعد مهتماً ولطيفاً بل اصبح الآن ناقداً ساخراً، «لقد نسيت انك امرأة متحررة عاملة لك متطلبات مهنية تمنعك من الاهتمام بالروابط العائلية!».

«هذا قول ظالم!» ضايقها تعبيره الساخر.

«حقاً!» انتظرها حتى تجادله لكنها لازمت الصمت، فاكمل بذات النبرة المتهكمة «هذا بالتأكيد سيجعل ما اطلبه منك ليس ذي قيمة اكثر مما ظننت».

«ماذا كنت ستطلب؟».

«كنت سأقترح عليك البقاء معنا، بعد ان تنتهي الثلاثة اشهر».

دون شك ليذهب مع كورين الى نيويورك! فكرت دولسي بغضب، بالتأكيد استطاعت كورين اقناعه بالذهاب معها، فهي لم تفعل شيء سوى الكلام عن هذه الرحلة منذ وصولها.

فهي لم تكن من ضمن الاشخاص الذين يمتثلون الى قوانين امبراطورية ميالاند المعتادة.

بينما جاي لا يتقبل اي نقاش من احد فكان باستطاعة كورين الجدال والابتسام والغضب والتكلف، ويبقى جاي هادئاً بتعابير وجهه متسامحاً.

«اخشى ان بقائي هنا مستحيلاً» قالت بصرامة، «وعدت جيري اني سأعود الى العيادة بعد قضاء المدة».

«ولا يجب ان ندع اي شيء يتدخل او يتطفل على هذا اليس كذلك؟» قال بحدة «لا، لا ترحلي!» اوقفها حين استدارت لتذهب الى غرفتها.

«يجب ان ابدل ملابسي للعشاء» نظرت الى تنورتها الجينز، وايضاً تبحث عن مكان للاختباء لكن لم تجد كانت هي وجاي

وحدهما في قاعة فارغة ساكنة.

«يمكن لهذا ان ينتظر» اقترب منها وحاولت السيطرة على انفاسها المتقطعة «اريد ان اعرف لماذا تتجنبيني».

«اتجنبك؟ لا لست كذلك».

«اذاً هي مخيلتي، التي تصور لي، اني كلما ادخل الى غرفة ما تخرجين منها فوراً».

«هذه ليست حقيقة» قالت مدافعة «نحن في نفس الغرفة دائماً، وقت الطعام».

«لا اعني ذلك، وانت تعلمين!» امسك كتفيها مجبراً اياها على النظر الى وجهه متحدياً.

«اعتقد انك تعني» قالت ببرود مصطنع «انك غير قادر على محادثتي اثناء الطعام».

ضغط على كتفيها «هل لديك اي فكرة، عن مدى صعوبة فهمك احياناً!» سألها بثقل.

«كم انا سخيفة، ظننت اني سمعت جرس العشاء!».

وقفت كورين على الباب تراقبهم بلؤم.

«في هذه الحالة انت مخطئة!» ابتعد جاي بسخط «نحن لا نقرع اجراس هنا، مايك دائماً ينادي لنا اتذكرين».

لا عجب من جاي، اذ بدا غاضباً، على الاقل لانه وجد في موقف معرض للشبهة مع رفيقة ابنته.

«المعذرة» انهت دولسي هروبها الذي كانت قد بدأته منذ دقائق، «يجب ان اذهب لابدل ملابسي».

كل شيء بلا امل، تماماً بلا امل، فقد وضعت نفسها في حالة عذاب، والى اي نهاية؟.

بدلاً من تغيير ملابسها، عليها حزم امتعتها والاتصال بـروس واخباره انه لا داع لمجيئه الى كندا، لانها ذاهبة الى انكلترا.

امضت الساعات في الهواء الطلق مع لوري في ركوب الخيل او مراقبة الرجال في اعمالهم.

بدت دولسي في احسن حالاتها بهذا الهواء النقي في ساسكاتشيوان، وقد عرفت ذلك من نظرات الرجال التي كانت تتوجه اليها في الفترة الاخيرة كلما مرت بهم مع لوري، مما يجعل لويد غاضباً لتوقفهم عن العمل.

اسرتها مشاهدة الخيول والطريقة التي يتفاهموا بها مع العمال، وتنفيذ المطلوب، سحرها الغرب القديم.

بضحته وبالغبار الرملي المنتشر من جراء العمل، اعترتها هزة حزن، فلوري ما زالت بحاجة اليها، لكن سرعان ما تزول هذه الحاجة، ولن تملك اي عذر للبقاء هنا، بعد انقضاء الثلاثة اشهر، لا عذر على الاطلاق، سوى حاجتها المدمرة بالبقاء قرب جاي بأية شروط.

لا بد ان جاي ولوري ما زالا في غرفة الدرس فقد استمرت الدروس بالرغم من قدوم كورين راودتها كل هذه الافكار وهي تتمشى في الحقل.

«مرحباً يا حلوة!» سد رجل طريقها.

«المعذرة!» قررت ان تتجاهله، فخطت جانباً لكنه خطى ايضاً ليمنعها من السير «ليس بهذه السرعة! فقد كنت تنظرين الي طيلة الصباح لن تعدلي الآن!».

«انظر اليك!» لم تره في حياتها ابداً.

«طبعاً!» ابتسم مداهناً «هناك خلف السباج، رأيتك تراقبيني»

قال «وكذلك ذلك الهندي اللعين!».

لا بد انه احد الرجال الذين كانت تراقبهم مع لوري.

«انا آسفة» حاولت تفادي الموقف «فانا لم اكن اراقبك على وجه الخصوص، كنت اشاهد فقط الاعمال الذي كنتم تقومون بها».

«آه كفي عن ذلك، لدي عيون برأسي لا داع للخجل» تغيرت لهجته لتصبح واثقة «لماذا لا تذهبين معي الى البلدة؟ لقد سئمت هذا المكان النتن، فنشرب كأساً ونرى ماذا سيحصل بعد ذلك؟» ابتسم بترهل، تفح منه رائحة الكحول، لكنه اقوى منها بكثير لتدفعه بعيداً عنها.

«لا شكراً،» بدأت دولسي تخاف فهي لا تستطيع الركض وهما في زاوية الحظيرة تقريباً حيث لا يمكنها رؤية البيت فقد اختار الموقع جيداً.

«يجب ان ادخل للغداء» قالت بهدوء «السيد مايتلاند ينتظرني».

فاسم جاي له تأثير عليهم، لكنه غير كاف فلم يمنعه من التقاط ذراعها وتقريبها منه.

«سأعطيك شيء على الحساب، لاريك ماذا يفوتك في حال غيرت رأيك».

«لديك خمس عشر دقيقة لتخرج من هنا قبل ان ادق عنقك؟» زمجر صوت جاي.

«لم افعل شيء سيد مايتلاند! مجرد قليل من اللهو!».

«خمس عشر دقيقة!» قوة غضب جاي ابعدت المسافة بينهما.

«ماذا عن اغراضي؟» قال في آخر جهد له في الحرب.

«احضرهم!».

«نعم سيدي... لم اعن اي سوء سيدتي!».

ذهب بحذر متجاوزاً جاي ثم اختفى في الحظيرة.

«شكراً لك!» اذا توقعت دولسي ان عطف او اهتمام فهي مخطئة.

«لا تشكريني» قال بغير اهتمام «وجودي هنا كان في محض الصدفة، فقد كنت قلقاً على كورين».

سمع صوت محرك سيارة البورش التي تقودها كورين فاتجه جاي نحوها.

استطاعت دولسي ان ترى وجهها يضحك له بحيوية واثارة من قيادتها لسيارة قوية بأقصى سرعة ممكنة معرضة نفسها للخطر.

«ستجعله يتزوجها ليس كذلك؟» وضعت لوري فكرة كانت تراود دولسي لايام

«اذا فعلت» هددت «سأهرب!».

«وتفوتين عليك معرفة اهمية الام؟» نظرت دولسي الى ذلك الوجه الكئيب المنعكس في مرآة غرفتها.

«لن تكون امي ابداً!» ردت لوري بغضب.

«يمكنها ان تكون صديقتك» شكت دولسي بذلك، وحين غادرت لوري متذمرة من المحادثة الصباحية بدأت دولسي تتساءل عما سيحصل للوري لو تزوج جاي كورين، لا، عندما يتزوج جاي كورين، فعليها الاعتياد على فكرة اصبحت حقيقة، فكل الدلائل تشير الى ذلك تسامحه واهتمامه لسلامة كورين.

انتهت من تجفيف شعرها وبدأت بارتداء ثيابها.

سترحل عن روز فالي بعد اسابيع قليلة وستدفن نفسها بالعمل

حتى تشفى بعض جراحها العاطفية، لكن عالم لوري كله في المزرعة؛ ماذا سيحصل لها؟.

اكتأبت دولسي عندما غادرت غرفتها ومشت متجهة الى القاعة من اجل طقس شعائري، اقيم منذ وصول كورين كوكتيل قبل العشاء.

«أه آنسة مورتيمر!» قالت كورين، وهي جالسة في القاعة بثوبها الرمادي «كنت آمل ان اعلمك».

كان وجه كورين قاسياً وواضحاً كبريق الالماس في اذنيها.

«حقاً؟» تفاجأت دولسي وتساءلت اذا كان جاي قد رأى هذا الجانب منها.

«نعم حقاً آنسة مورتيمر!» تهكمت كورين.

«اردت ان اسألك ماذا تظنين نفسك فاعلة هنا».

«في هذه الغرفة؟» احنارت دولسي.

«لا! هنا... في المزرعة!» كان صوت كورين حاداً وساخطاً، لكن السؤال غير متوقع بتاتاً، فقد اذهل دولسي.

«لكن بالتأكيد جاي وضح لك» قالت مندهشة.

«انا هنا بسبب لوري».

«حقاً!!» رفعت كورين حاجبيها «حقاً انت هنا، لهذه القضية ... ام انك هنا بسبب جاي؟».

«لا ادري ماذا تقصدين» همت دولسي بالابتعاد لكن كورين منعتها.

«آه، هيا، فانت لست غبية لهذا الحد! فقد اخبرني جاي قصة ما عن وجودك هنا لتقويم لوري، لكن اليست الحقيقة انك اقنعت جيري الاحمق ليرسلك حتى تتمكني من اللحاق به بعد رؤيتك له

في لندن؟ لا اظن انه يجب علينا القول لماذا!» انهت حديثها بحبث.

«ذلك ليس بالشيء المهم لتقوليه» شعرت دولسي بلونها يتغير ليتطابق مع غضبها «هذا بالاضافة الى ان كل هذا غير صحيح!».

«آه ماذا؟» ربما استطاعت كورين سماع نبرات صوت دولسي المنقطعة، فضاقت عيناها وهي تستعد للهجوم.

«ثم لماذا اذاً تحومين حوله، بعينيك الخضراوين هذه وشعرك الطفولي؟ هل اخذك الى سريره ؟» سألتها بتهكم «لانه اذا فعل آمل ان يكون هذا كل مرادك. لان هذا ما ستحصلين عليه فقط، فجاي ليس من النوع المزواج، او على الاقل هو يظن ذلك، ربما في يوم ما، ساقنعه بتغيير رأيه، لكن ليس الآن، ليس قبل ان يتخلص من قضيته تلك، فتذهب الى الجامعة او الى اي مكان تريد الذهاب اليه!».

كانت كورين صادقة في كلماتها الاخيرة، صادقة كلياً من ناحية مشاعرها بالنسبة للوري، فارتجفت دولسي.

«لكن في الوقت الحالي» اكملت كورين «نحن نناسب بعضنا، انا اهتم بحاجاته وهو يهتم بي...» حدقت عيناها بوجه دولسي «أنا متأكدة انه لا يجب الشرح اكثر من ذلك» قالت بسخرية «لا يمكن لاحد ان يكون بهذه السذاجة بايامنا هذا وبهذا العمر، حتى انت اعتقد آنسة مورتيمر.

انا وجاي نرى بعضنا في اي وقت نختار وفي الوقت الباقي فنحن احرار في حياتنا الخاصة، ما اذا كانت ستكون في نيويورك، لندن باريس او حتى هنا، في هذه الجنة!» نظرت حولها

باشمئزاز.

«يبدو تدبيراً مرضياً» تكلمت دولسي بشفتين متصلبتين.

«اجل، اؤكد لك» اعطتها كورين نظرة ماكرة.

«لكنه تدبير لشخصين وليس لثلاثة، وهنا يأتي دورك، او لا يأتي! اظن انه حان الوقت لترحلي».

«هذا قرار لا يمكنني البت فيه» ردت دولسي بسرعة، رافضة ان تساق، ربما عرفت انها شعرت بالإهانة والذل، لكنها صممت على الا تدع كورين ترى ذلك.

«عاهدت نفسي على البقاء هنا ثلاثة أشهر وما زال هناك بعض من ذلك الوقت لموعد رحيلي».

«في هذه الحالة، هذا قرار جاي، اليس كذلك؟» قالت كورين برصانة. «سيكون لي معه كلام - الليلة - عندما ننفرد. لن اقولها له هكذا بالطبع، فمن السخف تصور ان يراها جاي من هذه الناحية، لكن ما سيحصل، اعتقد...» ابتسمت بمكر «انه سيكره على الاختيار بيننا. اترين يا عزيزتي، فعلى الرغم انك مستعدة للمشاركة بالرجل حتى تحصلي عليه، فأنا لا. اما انت أو انا، وبالطبع فانني اشك من ان جاي سيراها كمقارنة لكن هذا ما يجب ان يفعله».

«يبدو انه يجب ان يسبق وجودي انذار، للمرة الثانية في حياتي».

لم تلاحظ اي منهما قدوم جاي، لكن جاي وقف في الرواق المؤدي الى غرفته، وفجأة ذهلوا، حتى كورين صعقت من وجوده، فوقفت بسرعة. «عزيزي، لم اسمعك!» اخذت ذراعه

واقتربت منه، جاهدة لتحويل القضية كلها الى مجرد مزاح، «انت تعرف النساء، كيف تتغامز والثرثرات التي يقولونها، حتى انهم لا يأخذون انفسهم على محمل الجد!».

«لا تقللي من قدر كلامك، كورين»، كان رد جاي غير متوقعاً ابداً. «فقد جعلني ادرك، انه علي اخذ القرار، الذي حاولت تفاديه - ويجب تنفيذه الليلة».

«لكن، جاي...» ذعرت كورين.

قاطعها جاي: «اخذت قراراً مرة، كلّف لورين امها، وأنا زوجتي. يجب ان اتكلم معك كورين، وكان علي فعل ذلك منذ أيام عديدة».

هل دولسي هي الوحيدة التي رأت لوري واقفة في الممر خلف ابيها ناظرة اليه بتفهم عميق، حين ارتاحت تعابير كورين؟

فكورين لديها سبب للابتهاج. قارنت دولسي تعاستها. باشراقة كورين، التي كانت تملك كل ما تريد، لديها جاي، اما هي فقد وقعت في النار، فقد أرسلت الى روز قالي كدواء لها من ذلك الذنب والاكتئاب الذي سيطر عليها بعد موت جيمي بروس، والآن هي في نفس المنزل مع رجل تحبه، بينما هو يسأل امرأة ثانية، للزواج.

فلم يكن لدى دولسي اي شك في هذا بعد ان طلب جاي او بالاحرى امر كورين ان تأخذ معه فنجان من القهوة في مكتبه بعد العشاء. بينما كانت تلعب مع لوري الشطرنج، لكن بدون تركيز أي منهما. نظرت الى وجه لوري المكتئب، لكن، كيف يمكنها ان تريحها وهي نفسها قلبها يتمزق؟ وكيف استطاعت ان تكون

بهذا الغباء لتظن ان جاي معجب بها، بينما هو لديه كورين؟

لكن ماذا، تساءلت، بعد ان انتهت هي ولوري من اللعب، وذهبتا الى غرفتيهما، عن ماذا يتكلمان هو وكورين، فقد طال الوقت وما زالا في المكتب؟. هل تتزوجيني؟ كلمات سهلة وسريعة، وسيكون جواب كورين اسرع بالموافقة.

لكنهما ما زالا في الداخل، لابد انهما يناقشان ترتيبات الزواج، وربما أيضاً يناقشان مستقبل لوري ويخططان له. فبالتأكيد كورين، ليست منشوقة لتصبح والدة لوري، فتعابير وجهها عندما تكلمت عن لوري، جعلت دولسي ترتعش.

كيف يمكن لجاي الزواج من شخص مثل كورين؟ لماذا لا يستطيع التغلغل الى نفسيتها ليرى حقيقتها؟

بينما هي في خضم افكارها، حيث كانت مستلقية على سريرها، اخترق صوت اذنيها، فأصغت جيداً، اذا بها طائرة الكنيا، تستعد للاقلاع.

تجمدت عروقها. بالتأكيد... بالتأكيد استطاعت كورين اقناع جاي بالذهاب معها، لا ليس من المعقول ان يذهب معها دون قول أي كلمة للوري. لكن لم يكن سارياً على كورين اي من قوانين جاي.

لبست روبها وخرجت بسرعة، لترى لوري، فقد سمعت صوت الطائرة بالتأكيد، وستنفذ تهديدها بالهرب اذا فكرت ان جاي ذاهب مع كورين.

فتحت باب غرفة لوري، فوجدتها خالية، فلم تنم حتى على سريرها.

اين هي؟ نظرت دولسي حولها بيأس. لكنها متأكدة من أمر واحد، ان كورين لن تسمح لجاي باصطحاب لوري معهم.

نظرت الى قدميها العاريتين. لا يوجد وقت للعودة الى غرفتها وتحاول منع جاي من الاقلاع.

في البدء، كان العشب بارداً وطرياً تحت قدميها العاريتين، لكن اجتازت المرج فأصبحت على التربة الرملية الجافة حيث ركضت بسرعة باتجاه هواء مروحة الطائرة، تصرخ وتنادي، مع انها ادركت انه فات الأوان حين اصبحت الطائرة كقطعة براقة في ظلمة الليل، بعد اقلاعها.

احست بدوار في رأسها، ولم تستطع الرؤية جيداً، حيث رأت شخصاً يمر لابد انه لويد كانت دائخة قليلاً، حين ركض نحوها الشخص.

الفصل الثامن

«لويد، ساعدني! اختفت لوري!».

«اختفت! أين؟» كان الصوت اقرب مما توقعت، ولم يكن صوت لويد، بل صوت جاي نفسه.

لم تستطع التصديق ولم يكن بامكانها فهم ما حصل، نفسها متقطع، حيث وجدت نفسها بين ذراعيه.

«اين ذهبت لوري؟» قربها منه، بينما هي واقفة مذهولة. «لا اعرف!» تلفظت ببطء.. «لكن لابد انها سمعت صوت الطائرة، فاعتقدت انك ذهبت مع كورين!».

«اعتقدت ماذا؟» بدا مصعوقاً تماماً.

«انك ستذهب مع كورين لتتزوجها!» بدأت دولسي ترتاح قليلاً. فما بدا أكيداً منذ دقائق، اصبح الآن غير حقيقي «اليس هذا ما كنت تخطط له؟» بذلت جهداً لتسأله.

امسك وجهها بيديه. «من الذي وضع هذه الفكرة في رأسك؟».

«انت! فقد ظننت انك ستتزوج كورين، عندما قلت انك عليك اتخاذ قرار. وأظن لهذا السبب هربت لوري من البيت».

www.elromancia.com

منك وليس من كورين!».

«لأنها اعتقدت انني سأتزوج او لأنها اعتقدت انني سأتزوج كورين؟» سأل جاي بسرعة.

«كورين، على ما اظن».

حتى في هذا الظلام، استطاعت رؤية ابتسامة وجهه القاسي، «في هذه الحالة»، ابتسم بثقة، «لا اعتقد، اننا سنواجه أي عقبات في ارجاع ابنتي الهاربة، ليس بعد ان تعلم انني اخطط للزواج

«لم تعطني جواب حتى الآن».

ما زالت مذهولة وغير مصدقة، وقفت دولسي في الصالة، تراقب عيني جاي المتبدلة من البريق الى الرمادي.

كانت لوري في سريرها نائمة. فقد وجدها جاي في احدى الحظائر، خائفة. لكنها الآن في غرفتها. فأغلقت دولسي الباب التي كانت ما تزال مرتدية قميص نومها والروب، شاعرة بقوة نظرات جاي، المنتظرة ردها.

لماذا لم تستطع قول نعم؟ فقد تحقق المستحيل. الرجل الذي تحبه، طلب منها الزواج.

«هل هي لوري؟» سألها حيث ادرك ترددها.

«لا!» شعرت بانكار في قلبها.

«عملك؟ كورين، ماذا؟» اكمل قبل ان تحظ بفرصة لتشرح له بأن عملها هو آخر شيء تفكر فيه. «دعني اخبرك عن كورين». قال بعنف. «هي جزء من ماضي، لا علاقة له بنا الآن. كانت بيننا علاقة غرامية ـ منذ سنين بعد رحيل ڤاليري، لم يعن شيئاً

مهماً وانتهى بعد فترة وجيزة. على الأقل، انا اعتقدت ذلك».

اضاف بهدوء «من الواضح اني اخطأت»، فقد اعتادت كورين القدوم الى هنا، وكان علي ان امنع ذلك، لكن كل شيء انتهى الآن، يجب ان تصدقي، ذلك، وتصدقي اني اريدك!».

اخذ ذراعيها بين يديه، لكن دولسي ابتعدت. كان حاجز الماضي يقف بينهما، هل هي ڤاليري ام روس؟.

«كل شيء مفاجيء، متسارع جداً» حاولت يائسة ايجاد سبب لترددها.

«ليس مفاجئاً ولا متسارعاً» ناقضها جاي «ادركت اني اريدك منذ ان هرعت فتاة ذات شعر احمر امام سيارتي ووجدت انه تماماً كما من السهل ايصالها الى بيكادللي سيركس، فانه من الصعب ابعادها عن تفكيري. اردت نسيانك، صدقيني!» ظهرت مقاومة جاي القديمة «لكن كنت هناك، جزء مني لذلك كنت خائفاً جداً عندما وصلت».

«كنت خائفاً؟» تذكرت جفافه معها. «كنت فظاً معي اكثر من أي شخص قابلته!».

«كنت خائفاً»، قال بابتسامة «وماذا تفعلين عندما تكونين خائفة من نفسك؟، تقاتلين! كنت مرعوباً. وكنت قد اقسمت اني لن اسمح ابداً لامرأة ان تسكن في داخلي، فقد لعبتها مرة وخسرت». اضاف ساخراً «لكن كنت هناك وأنا أواجه الأمر، فقد كلفني كثيراً اقناع جيري، لتوافقي على قدومك، وكل ما فكرت به حين رأيتك تخرجين من الطائرة، كيفية جعلك ترحلين!».

«طلبت من جيري اقناعي للمجيء إلى هنا؟».

«لما الأصدقاء اذاً؟» اعطاها ابتسامة عريضة جعلت قلبها ينقلب راساً على عقب. «اعترف بأنه لم يكن ليفعل ذلك. لولا معرفته بحاجتك لاجازة».

امسك وجهها بيديه وكلماته الأخيرة بالكاد مسموعة.

«احتاجك يا عزيزتي وأريدك، اكثر مما اردت اي شيء في حياتي».

سحبها نحوه. قبّل وجهها وشعرها وعينيها، هذا ما كانت تحلم به، ولم تعتقد ابداً انه سيتحقق، اطلقت نفسها بتنهيدة قوية. فاقدة سيطرتها على عواطفها، فشعرت بنشوة، حين حملها جاي عبر الرواق متجهاً إلى غرفة نومه. كل ما احست به انه الآن مستلقٍ بجانبها على السرير، وحرارته تذيب لها قميص نومها، «جاي!» بدلاً من مقاومته، انّت باسمه.

«جاي» صوتها ثانية، لا، ليس صوتها! بل صوت رجل قاس وقوي ممزوجاً بطرقات قوية على الباب رفع جاي رأسه. «من؟» سأل بغضب.

«النار، يا سيدي النار!» صوت مايك خلف الباب. سحب جاي روب تاركاً دولسي مسلوبة الوعي تماماً.

«ماذا تعني نار؟» سد جاي فتحة الباب بجسده، حتى لا يرى مايك الى داخل الغرفة.

«انه حريق العشب!» قال بسرعة، «آتية نحونا!».

«هذا صحيح جاي» صوت لويد ساوثيونيد انضم للمحادثة. «النار تجري بسرعة! لقد رأيتها وأنا عائد بالطائرة من كالغاري».

«اجمع الرجال! قل لهم اني قادم. وأحضر الجرارات، علينا

ان نحرث حول المزرعة لمنع النار!».

ارتدت دولسي ثيابها بعد ان انتبهت للحديث، فدنا جاي منها وتغيرت لهجته من العاشق الى الرجل القاسي. «احضري لوري» امر «ثم انتظروني هنا، مهما حصل، فلا تغادر اي منكما المنزل حتى اعود».

النار! التهديد الدائم لأراضي البراري اليابسة، فتدمر ملايين الأشجار والمزارع.

مفتونين جداً ليشعروا بالخوف، دولسي ولوري، وقفتا يراقبان من نافذة غرفة لوري.

صوت المياه كان يصيب بالصمم، كعاصفة استوائية قوية، حيث حمل الرجال خراطيم المياه ووجهوها نحو المنزل ليبقوه رطباً، وحول المزرعة لحمايتها.

توقفت النار باللحظة الأخيرة عند الأرض التي حرثوها لتمتلىء بالمياه.

تقريباً وفرّت النار كل شيء ما عدا بيت العمال حيث توقفت شرارات صغيرة فأشعلته، اذ ان سطحه مصنوع من خشب الصنوبر الجاف، فاحترق دون أي امل في انقاذه.

«حسناً، اجمع الرجال، واهدموا ما تبقى من المنزل!».

أشار نحو منزل العمال، متجاهلاً دولسي الواقفة الى جانبه.

«حاضر، سيدي!» قال لويد.

«لكن، لماذا؟» صحيح ان البيت تضرر لكن يمكن اصلاحه، فقد شعرت دولسي بالأسف لمنزل قديم تم بناؤه منذ اجيال.

«لماذا؟!» نظر جاي اليها مغتماً «لأنه كان مليئاً بالذكريات، ولا

يوجد فيها ذكرى سعيدة واحدة».

نظر ثانية الى البيت «زواجان فاشلان - اهلي ثم زواجي - وطفولة، كان فيها الأطفال الهنود سعيدين اكثر مني، بالرغم من انني كنت، الأغنى بينهم، ظننت ان زواجي من ڤاليري سيغير شيئاً».

توقف بجفاف ثم اكمل «لم ادخل اليه منذ ذهابها، والآن» استدار نحوها ونحو لوري المذعورة، بتغير مفاجىء في مزاجه «لتدركي اي شخص امين انا، سنترك لويد والعمال يهتمون بهذا ونذهب نحن ثلاثتنا الى كالغاري».

«لكن لماذا، يا ابي» سألت لوري.

«سنذهب للاحتفال بنهاية الماضي» نظر نحو دولسي وكأنه يذكرها بما حصل «وبداية مستقبل جديد».

طاروا فوق البرتا، استطاعت دولسي رؤية الحقول المتموجة كما استطاعت ايضاً رؤية الشخص الذي احبته معها.

بعيداً عن ذلك شاهدوا بيت العمال المحترق، الذي ذكرها بما حصل ليلتها.

«استطيع رؤية الجبال!» قالت لوري قاطعة عليها افكارها فقد وصلوا الى كالغاري فحط جاي في مدرج صغير، للطائرات الصغيرة.

«سأوقفها في مكان جيد، سيد مايتلاند» قال رجل يرتدي ثياباً بيضاء ساعد لوري ودولسي بالنزول.

«محتمل اني اريدها نهار الخميس».

«في اي وقت سيد مايتلاند مجرد اتصال منك، سنجهزها لك

ونملأها بالوقود، والليموزين التي اردتها جاهزة هناك» اشار نحو سيارة كاديلاك سوداء، شعرت دولسي بالرفاهية عند جلوسها في السيارة مع جاي ولوري، يفصلهم عن السائق زجاج اسود.

«متأثرة؟» كان جاي يراقبها حين انسابت السيارة بهم من المطار وانعطفت نحو البلدة.

«نعم، لكن...» قطبت جبينها حين فكرت «الى اين نحن ذاهبون؟».

«الى عمتي جولي، بالطبع» ردت لوري «الم يخبرك ابي؟».

«تقصدين ان جاي لم ينطق بكلمة؟» قال جاي مراقباً علامات الشك وعدم التصديق في وجه جولي لانكاستر، عمرها حوالي الثلاثين، كانت تملك شعر اخيها البني المائل الى الاشقر، اشراقتها جعلتها قريبة جداً من الاشخاص الذين يقابلهم ومألوفة.

احبتها دولسي كثيراً خاصة طريقة ابتسامتها، مثل جاي تماماً.

«آه، حسناً» قالت «افترض اني لا يجب ان افاجأ فالحصول على معلومات شخصية من جاي كالحصول على قطعة ذهب! لم يخبرني عنك ايضاً، ومن حكمي على تغيره من آخر مرة كان فيها هنا، استطيع القول ان الامر ابعد من توقعاتي!» نظرت الى دولسي طويلاً «اخي الاكبر...» دارت عينيها «تعالي سأريك غرفتك».

جولي ارشدت دولسي الى غرفة مطلة على الحديقة الخلفية، كان القصر مجهزاً بأثاث فاخر، ذا تصميم يعود الى القرن الثامن عشر.

جاي وديك لانكستر، زوج جولي الذي يعمل كمستثمر نفط، كانوا في مكان ما من القصر، بينما دولسي كانت تتأمل اثاث الغرفة الفخم والمنظر الشامل الذي تراه من نافذة الغرفة، لكنها لاحظت بعد قليل ان جولي تتفحصها.

«هل اعجبتك الغرفة؟» سألت جولي، فأومأت دولسي بالايجاب، «جيد» اكملت جولي بهدوء «اذاً بامكانك انت وجاي الحصول عليها عندما تبقيان معنا بعد زواجكما».

ليس فقط انها تشبه اخاها، بل لديها نفس الطريقة بالمفاجآت.

«زواج؟ نحن لن نتزوج؟» قالت دولسي.

«ماذا؟» ظهرت علامات الاستغراب على وجه جولي «اذاً انت من سيقوم بالرفض لان جاي لديه كل المقومات لطلب ذلك منك، لا تنسي اني اعرف اخي جيداً... وكنت ما زلت اعيش في البيت حين تزوج ڤاليري، كان لديه نفس النظرة التي ينظرها الآن، لكن سرعان ما بدأت الامور تسير في الاتجاه الخطأ».

«جولي، ما الذي حصل حينها خطأ؟ كيف كانت ڤاليري».

«الم يقل لك اي شيء بعد؟» قالت جولي.

«كلا».

«يجب ان يفعل» قالت جولي ببساطة «الافصاح عن مكنوناته سينفعه، يحتاج للتحدث عن مشاعره، ويرى حقيقة ما كان زواجه قائماً عليه، غلطة منذ البداية دون اي امل في النجاح».

«ساخبرها يا جولي!» استدارت دولسي باتجاه الصوت، فرأت جاي واقفاً عند باب الغرفة اقتربت جولي منه وطبعت قبلة على

خده.

«سأتأكد من عدم ازعاجكما» قالت «لكن تذكر يا اخي الكبير، اذا ما احتجتموني في اي شيء، ساكون تحت في الطابق السفلي».

تركت الغرفة واقفلت الباب وراءها.

جمود جاي ارعب دولسي «ليس عليك اخباري اي شيء» قالت.

«لا، جولي على حق» كل احاسيس الذعر والعزلة اختفت عندما دنا منها جاي ووضع يديه بلطف على كتفيها حتى ينظر الى وجهها.

«يتطلب الامر اكثر من حريق وتدمير منزل من الذكريات ليبدأ من جديد. يتطلب الامر ثقة وصدق، امور كنت افتقدها حتى دخلت حياتي، كان علي ان اكون صادقاً مع نفسي بشأن ڤاليري منذ سنين، حتى قبل ان نتزوج».

«قبل ان تتزوجوا؟».

ابتسم لدهشتها «هذا صحيح، كنت مجنوناً بها، لكن في داخلي كنت اعلم اننا لا نصلح لبعضنا ولاعطي ڤاليري حقها لم تزعم يوماً اننا كذلك، جاءت مهنتها في المقام الاول، كنت اشك في انها كانت ستقبل الزواج، لولا انني سألتها في ليلة نجاح فيلمها، فقد كانت في مزاج قبول اي شيء تلك الليلة، وقد ثابرت على ذلك، ليعلم الله، لماذا فعلت ذلك!».

وضع يديه في جيوب جاكيته واقترب من النافذة.

«لقد ثابرت بعزم وعناد لأني اردت كسر قاعدة مابتلاند» استمر

في الكلام «لاثبت انه على الرغم من فشل زواج ابي وامي، وزواج جدي وجدتي، يمكن ان اكون مختلفاً اعتقد انه كان يجب ترك ذلك لجولي» اضاف حين تصاعدت اصوات الاولاد في الحديقة، «فقد خلق ديك وجولي لبعضهما. تماماً كما كنت اقول لنفسي.

انا كذلك انا وڤاليري، كانت اجمل مخلوق رأيته» توقف ثم تابع، «شعر قاتم، ناعم مع ذلك النوع من البشرة التي تحسين انك لو لمسته سيخدش، لكن بشرتها كانت الشيء الرقيق الوحيد في ڤاليري!».

احست دولسي بتوتره «من ناحية اخرى، كانت قوية وماخوذة بمهنتها كلياً، هجرتني من اللحظة التي عرفت فيها انها حامل... «قالت اطفال ومهنة امران لا يتناسبان ابداً».

«لكن ماذا عن لوري؟» سألت دولسي.

«ولدت لوري في هوليوود» قال جاي باقتضاب، «ذهبت واحضرتها، ولم ار ڤاليري منذ ذلك الحين، حررني المحامي من الزواج، لكن كان علي وحدي التخلص من مرارتي، ووجدت اني لا استطيع ذلك، جولي على حق» استدار نحوها فجأة «كان يجب علي التحدث عن ذلك، واخذ نصيحة مختصين، لكن بدلاً من ذلك، تركت الأمر لينمو حتى اصبح الامر ليس مجرد ڤاليري، لكن كل النساء حتى ابنتي!».

«والآن؟» وجدت دولسي الشجاعة للتحقيق معه بلطف.

«والآن!» تقدم نحوها ووضع يديه بتملك على خصرها ونظر الى عينيها، «الآن ذهبت تلك الظلال واريد رداً على سؤالي الذي

سألته لك الليلة الماضية، انا احبك... احبك، هل ستكونين زوجتي؟».

www.elromancia.com

الفصل التاسع

«لا بد انني فعلت شيئاً جيداً في حياتي!».

هذه الاغنية المفضلة، كانت تتردد في اسماع دولسي كلما يقترب جاي منها.

حملت قبلاته عاطفة قوية، تُسْعِد دولسي، كلما وجدا في مكان وحدهما.

خاتم الزواج مؤلف من ذهب وفصين من الالماس، كان ما زال قيد التصميم والصنع في كالغاري.

انعكس وجه جاي بزجاج السيارة في طريق العودة ابتسم لدولسي التي كانت تنظر الى خاتم الخطبة في يدها، وتفكر بالسعادة التي تغمرها، والتي فوق احتمالها.

كان صوت لوري اول صوت قطع عليهم الصمت عندما اعلن جاي خطوبتهم عند آل لانكستر في الليلة السابقة.

«لكن، ماذا يجب ان اناديك ماما او دولسي؟ سألت لوري».

«ماذا تريدين انت مناداتي؟» سألت دولسي.

فكرت لوري ملياً، «اعتقد ان دولسي افضل في البداية، وبعدها سنرى ما يمكن ان يحدث معنا» اضافت بطريقة تقليدية،

ثم سألت.

«ايمكن ان اكون وصيفة العروس؟».

«ستجبرين على ارتداء فستان» حذرها ابيها.

«آه، ابي، ايجب ذلك؟».

تعابير لوري المكتئبة افتعلت عاصفة ضحك، حتى انها ضحكت مع الآخرين، فكرت دولسي بروس فجأة، لكن لماذا تزعجها صورة روس؟ لماذا تخشى اخبار جاي عن قصة طفولية تطورت تحت وطأة ضغط الاهل وتوقعات الآخرين؟.

لقد راسلت روس وهي حرة الآن، لن يأتي روس الى كالغاري، وكل ما عليها هو الشرح لجاي، لكن مخاوفها كبرت وزادت، يجب ان تقول له، ما الذي يمنعها؟ فمن غير اعترافه الاخير هل كان هناك الصدق والحقيقة التي تكلم عنها جاي؟.

ساعدتها كالغاري، فهذه البلدة الغنية ذات المصاريف الكثيرة انستها احياناً افكارها.

ولدت دولسي وترعرعت في احدى اكبر مدن العالم، لندن وقد عملت سنتين في مركزها الرئيسي، ومع ذلك بضعة اسابيع في روز ڤالي، اصبحت معتادة على الهدوء والعزلة اللتان افتقدتهما تقريباً في كالغاري، فوجدت نفسها تجول فيها كالسائحة، محدقة بكل شيء كالبلهاء.

في احدى المرات رأت روس فتقلصت امعاءها، لكنه استدار ليصبح احد رجال النفط المستثمرين قليلاً مثل روس لكنه يشبه الآخرين.

«ما الامر؟» لاحظ جاي حيرتها المفاجئة.

«لا شيء» اجبرت دولسي نفسها على الابتسام لا شيء على الاطلاق باستثناء اني اريد ان اقول لك شيئاً لكني خائفة من ان..انك فكرت في نفسها.

لو كان لديها فقط اي شخص لتتحدث اليه اهلها؟ لا فقد اقنعت جاي لتوها تأجيل مكالمته لهم خوفاً من ان يذكروا روس، ربما عليها التحدث الى جولي.

نظرت الى اخت جاي بطرف عينيها، بالطبع جولي ستتفهم ذلك المخطط الذي كان ينمو الى الاسوأ كلما مر يوم، مصعبا الامور عليها خاصة تلك المشاعر التي تختلجها انها مخادعة.

كانوا في غرفة مرفهة في اوتيل فخم، فقد احضرهم جاي للعشاء في آخر ليلة لهم، انتظرا جاي وديك لانكستر في غرفة الطعام يتحدثان عن البراندي الفاخر الذي طلبه جاي للعشاء.

«آه، يجب صرف الحاضنة» نظرت جولي الى ساعة الحائط «فقد وعدتها اننا سنعود في الثانية عشرة وعلي اخذ الاولاد الى درس السباحة في الصباح الباكر» ابتسمت وهي ترتدي ثيابها، «الآن بدأت تعلمين ما الذي يبقيك سهمة بعد انجابك خمس اطفال! تركضين وراءهم باستمرار!» قالت ناظرة الى دولسي «والآن انت بحاجة لتقلقي على وزنك عندما تأتي كل هذه الاطفال» وتغير وجهها فجأة حيث اصبح جدياً.

«ديك وانا مسروران جداً وسعيدان بان تكوني نسيبتنا، واردنا ان تعلمي هذا».

«شكراً لكم» لم تستطع دولسي النظر الى عينيها.

«انت ما احتاجه جاي لسنوات، آه ليتك كنت هنا قبل ان يلتقي

بفاليري، لكن اعتقد انك كنت صغيرة جدا وقتها» ثم اضافت «اما بالنسبة لتلك... كورين!» مجرد تفكير انه يضيع وقته هباء، كان يقلقني كثيراً!» ابتسمت لتعابير دولسي المندهشة «فقد لعب القدر لعبته في تقريبكما من بعضكما» شرحت بسعادة «وليس من الصعب ابداً كم يحبك آمل ان تكوني من النوع المحب للاطفال، لاني اتوقع انك ستنجبين البعض منهم واصر على ان اكون عرابة اول ابن اخ لي!».

تكلمت كثيراً وباستمرار حتى اصبح امر روس اصعب على دولسي لتتحدث فيه.

عادوا الى البيت، ثم ذهب ديك ثانية، ليقل الحاضنة الى منزلها، اما جولي، ودولسي وجاي وقفوا في القاعة.

«اتريدان بعض القهوة؟» قالت جولي ودخلت الى المطبخ.

«بالطبع» قال جاي، ولم ينتظر ذهاب جولي الى المطبخ، حتى اخذ دولسي بين ذراعيه، وقبلها بشهوة، جعلت التفكير امرا مستحيلاً، كل ما استطاعت فعله هو الاحساس بجسد جاي القاسي الملاصق لجسدها وحرارة فمه.

«دولسي!».

لم يبتعد جاي عن دولسي حين سمع صوت جولي الحاد والمندهش آتياً من المطبخ.

«دولسي، يوجد هنا رسالة لك» تقدمت جولي نحوهم حاملة بيدها ورقة فحررها جاي ببطء تاركاً ذراعه حولها.

«لا بد ان الحاضنة مايندي نسيت عندما دخلنا» شرحت جولي. «علقتها على لوح المطبخ، انها من روس سائرلاند، اتصل لم

استطع ان امنع نفسي من قراءتها يقول انه خطيبك وهو موجود الآن في كالغاري».

الفصل العاشر

تجمدت دولسي لبضع دقائق، تجمدت من قساوة وبرودة جسد جاي المفاجئة، قبل ان يتركها بسرعة، وكأن مجرد ملامستها خطيئة وخرج من الصالة الى غرفة الجلوس دون كلمة.

«جولي، استطيع تفسير ذلك!» اهتز صوت دولسي، ورفعت يدها بوهن.

«لا اعتقد انني من يحتاج التفسير» تماماً كأخيها.

«اعتقد انه يجب ان تتكلمي مع جاي».

كان واقفاً في غرفة الجلوس، وظهره باتجاه الباب، حيث دخلت.

«جاي استطيع الشرح لك!» كان بامكانها الاقتراب ولمسه، لكن بدت الهوة سحيقة بينهما، يصعب اجتيازها، وعندما استدار، المرارة في عينيه كانت قوية جداً لدرجة انها بدلاً من تقريبها خطوة الى الأمام، ارجعتها الى الوراء.

«انا متأكد من ذلك» قال بابتسامة. «بلا شك، لديك تفسير محضر منذ ايام، في حال وُضعت في هكذا موقف، ما هو؟» سأل بوحشية، «ماذا كنت ستقولين؟ أشياء معتادة مثل، انا آسفة جاي،

www.elromancia.com

لكن هذا الأمر مع روس، اكبر من كلينا؟ أو».

تغير وجهه بعد انتهائه من تمثيل، هذا المشهد المعتاد.

«هل كنت سأصبح المحظوظ السعيد؟ والآن، بما انك رأيت كل هذا» اشار بيده الى انحاء البيت.

«هل قررت انني الأفضل، والأنسب لك، وان ذلك روس، او ما اسمه، كان يجب ان يوفر عليه عناء المجيء هنا وراءك!».

«هذا ظلم، وغير عادل!» رد سريع غاضب ممزوج بدموعها التي حاولت جاهدة، ان تمسكها.

«اجل، اعتقد هذا» للحظة رأت فيه الرجل الذي يحبها.

«لا اعتقد حتى انك تفعلين ذلك». انهى بهدوء.

استغلت دولسي تغير مزاجه.

«روس هو صديق الطفولة عرفته منذ زمن بعيد ابعد مما اتذكر، وقد تمنى اهلنا دائماً ان نتزوج، وربما في وقت من الاوقات...».

توقفت كان هذا اصعب جزء ستقوله، الجزء الذي كان يجب ان تعترف به منذ ايام.

«ربما في فترة مرت، فكرت اننا سنتزوج، ايضاً لكن الآن... الآن، ليس منذ مدة بعيدة جاي يجب ان تصدقني!».

رفعت رأسها نحوه، راجية ومتضرعة الى الله ان يرى الحقيقة.

«هل لديك ادنى فكرة كم انا تواق لتصديقك؟».

قال بنفس النبرة المنخفضة.

«ليس من السرور ابداً التصديق انني كررت نفس الخطأ مرتين في حياتي، لكن هناك الكثير من كلامك لا يشكل اي منطق...

والكثير منه ايضا منطقي!».

انهى كلامه بقساوة.

«لماذا ترك رسالة يقول فيها انه خطيبك، ولماذا اذا كنتم لا تعنون الكثير لبعضكما، يأتي وراءك كل هذه المسافة؟».

وقف هناك ينتظر جوابها.

«روس يعمل في اعمال النفط» بدأت «هو مهندس كيميائي».

ضحك ضحكة ساخرة قطعت شرحها.

«جيد» قال بتهكم «بالنسبة لقصة ثم تأليفها الآن جيد جداً، مشكلتها الوحيدة انها رائعة، فيها الكثير من الصدفة، ذلك ان هذا الخطيب يعمل بشيء يمكن ان يحضره الى هنا، حاولي عدم اهانة ذكائي».

اقترب كثيراً لدرجة انه لامسها تقريباً.

«لماذا يا دولسي لماذا؟».

تجمدت عينيه بها.

«ولا تقولي لي انه الحب».

حذرها بحدة.

«ذلك الامر الوحيد الذي لم تقوليه لي، هل تلاحظين ذلك؟ لم تقولي ابداً انك تحبيني، لما لا، اتعجب؟ لمحة اخيرة من ذلك الصدق العظيم؟».

انتظر ردها لكنها لم تستطع لانه على حق، ليس بالطريقة التي افترضها لكنه على حق، فقد كان التفكير بروس يلاحقها كظلها.

اساء جاي فهم صمتها الاليم «اذاً» قال «وصلنا الى الحقيقة اخيراً، هل كنت انا... تحدي؟ او علاقة غرامية اخيرة قبل ان

تتزوجي؟».

حول كلماته الى اهانة.

«لكن هذا خطأ ايضاً فقد نسيت انك امرأة متحررة واذا كان بامكانك الحصول على مهنة بعد الزواج فلماذا لا يكون لديك علاقات غرامية ايضاً؟، بعض الرؤوس تعلقينها على حزام التحرر! فقد كنت دائماً جاهزة لتقدمي لي نفسك، كما اتذكر...».

لمعت عيناه بلؤم مذكراً اياها بتلك اللحظات المهينة في بركة السباحة بعد وصولها بيوم واحد.

«لنرى، اذا كنت ما زلت استطيع جعلك تريدينني ثانية!».

شدها نحوه، وسحق شفتيها بفمه، بينما كانت تصارع تحت وطأة اصابعه القاسية التي ارجعت معصميها الى خلفها مستخدماً يده الثانية لخلع فستانها عن كتفيها، ادركت دولسي انها بدأت تضعف بالرغم من انها عرفت انه الانتقام وليس الحب الذي كان يقوده لذلك.

«جاي، يكفي هذا» صوت جولي انقذها «لقد عاد ديك، ويمكن ان تتناقشوا في قضيتكم عند الصباح».

الجزء الاصعب الآن هو مواجهة لوري.

جلسوا في غرفة الطعام، لتناول الفطور، تساءلت دولسي اذا كانت لوري قد لاحظت ان جاي لم ينظر اليها، فلم يتكلم معها الا قليلاً جداً وجولي ايضاً بالكاد تكلمت.

«لكن لماذا لن تأتي دولسي معنا؟» سألت لوري.

«هل ستأتي غداً؟».

تجنب جاي الاجابة عن سؤالها المباشر.

«ستبقى في كالفاري، لانها سترى شخصاً اتى من انكلترا» بالكاد سمع صوته.

«الا تظنين انه من الافضل لك ان تذهبي وتشكري عمتك جولي لضيافتنا؟ ستصل السيارة بعد دقائق لتقلنا الى المطار».

«لكن بابا...!» ارتفع صوت لوري محتجاً.

«الآن لوري سأرسل لويد ليأخذك الى المزرعة، حتى توضبي امتعتك» استدار جاي.

«او سأجعلهم يوضبونها وسأرسلها لك».

«لكن ماذا عن لوري؟».

«ماذا عنها؟» جاي كان صلباً جداً.

«سنعيش سوياً، وربما سيمر علينا بعض الوقت قبل ان نحول ما حصل كله الى درس مفيد... دعينا نأمل ان يكون خطيبك محظوظاً اكثر بحصوله على ما يعتقد انه حصل عليه... زوجة محبة وصادقة!».

رن جرس الهاتف.

«او ان هذا كثير جداً لتتوقعه من اي امرأة؟». انهى كلامه بقسوة وحشية.

«جاي يجب ان تدعني اوضح الامر!».

سمعت دولسي صوت خطوات وراءها ثم توقف رنين الهاتف.

«لم نكن مخطوبين ابداً انا وروس!» رفعت يدها لتريه انها لا تلبس محبس في يدها.

لكن قبل ان تستجمع افكارها نادته جولي بجفاف.

«دولسي مطلوبة على الهاتف خطيبك!».

كانت الذكريات تعبث بافكار دولسي وهي ذاهبة في سيارة التاكسي لمقابلة روس.

لكن اكثر ما خطر في بالها يد لوري الصغيرة التي التفت حول عنقها لتودعها، وجاي وهو يصعد في الليموزين دون ان ينظر اليها، ثم عادت افكارها الى لوري، التي كانت تنظر اليها من زجاج السيارة الخلفي دون ان تعرف ان فستان وصيفة العروس الذي وضبته بعناية في حقيبتها، لن ترتديه ابداً.

«لا تبدين جيدة ابداً، كما توقعتك! ما الامر؟».

استمر في كلامه ممازحاً.

«هل تلاعب معك، صاحب المزرعة، أم زعيم حقول النفط لم يتفق معك، وسبب لك كل هذه المشاكل؟».

«هو ليس لي، اسمه جاي مايتلاند» اجابت بحزم.

«انا آسف» نظر روس اليها باهتمام «كنت امازحك، ولم آت الى هنا للشجار فلم اعني بكلامي شيء محدد».

نظرت دولسي اليه فرأت الاهتمام بعينيه.

آه ما، لماذا آه، لم استطع ان اغرم به؟ لماذا يجب ان يكون جاي الذي قلب كيانها؟.

«انا آسفة ايضاً على ما قلته في رسالتي».

«رسالة اي رسالة؟» تفاجأ روس.

«التي كتبتها منذ اسبوعين».

«اذاً لا بد انها تنتظرني في انكلترا» ابتسم روس.

«فلقد كنت في الشمال منذ الاسبوع الماضي، لا بد ان

رسالتك قد وصلت بعد ان غادرت ماذا قلت فيها؟».

تنفست دولسي الصعداء واستجمعت نفسها لتخبره بنفسها ففرصتها قد حانت «قلت» بدأت ببطء.

«اني لا اظن...».

«فهونك سيدتي» وضع النادل القهوة على الطاولة امامهما، فاستلم روس دفة الحديث.

«دولسي لدي شيء اقوله لك كان يجب ان اكتب لك اعتقد، لكن الكلمات الصحيحة لم تأت، ليس انني لم احاول» اضاف بحماس.

«غالباً!».

«روس هناك شيء ما اليس كذلك؟».

تذكرت تردده عندما كلمها بالهاتف في المزرعة.

«بطريقة ما، ليس هناك شيء خطأ، في الحقيقة».

تنشق نفسه.

«انا هنا، لاني اردت اخبارك انك على حق».

«حق؟» كانت مضطربة ومحتارة.

«نعم، هل تذكرين ليلة اردت اخذ قرارك بالسفر الى كندا ام لا؟ قلت اننا بحاجة لتكييف ظروفنا لنتزوج، لان هذا ما يتوقعه الجميع... اكثر مما نحن مقتنعين به؟».

«اجل اذكر» استرجعت المحادثة في ذهنها.

«حسناً، كنت على صواب» قال روس بعدائية.

«ليس اني فكرت هكذا حينها، وقد افتقدتك كثيراً عند رحيلك في البداية، لكن عندها كنت اتحدث مع احدى الفتيات عنك في

الشركة، لمجرد الحديث عنك، لكن فجأة تطور الحديث ليأخذ مجرى الكلام عن أنفسنا، لا اعرف كيف حصل هذا، لكني وقعت في الحب، اعرف ان هذا يبدو سخيفاً، لكنه حصل بغير ارادتي».

«لا تقلق» همست «استطيع فهم ذلك» فهي نفسها وقعت في الحب.

«عرفت انك ستفهمين او اتمنى ذلك انها فتاة رائعة ستحبينها اسمها روفيرا».

«ماذا؟» تعجبت دولسي من هذا الاسم الغريب.

«نعم، اعلم انه غريب، فهو نصف اسم ابيها رون ونصف اسم امها فيرا، في كل الاحوال انا اديها كايت، فهي شقراء وعيناها زرقاوان، آه... ستحبينها كثيراً».

«انا متأكدة من ذلك متى ستتزوجان او لا يجب ان اسأل؟» اجبرت نفسها على قول ذلك.

«لم نخطط كثيراً لهذا، فنحن نريد زفافاً هادئاً والآن...».

اختفى صوت روس من سمعها بينما كانت تفكر فخطرت لها فكرة مفاجئة.

«روس عندما تعود الى انكلترا ارمي رسالتي فلا يهم الامر الآن».

«كما تريدين لكن الن تعودين قريباً؟ كنت آمل ان تحضري زفافي».

«لا ادري ربما سأبقى لبعض الوقت».

لا بد ان تفسيرها ارضاه، لانه لوح لها بيده وهو راض تماماً،

بينما هي عائدة في سيارة التاكسي. لكن ماذا ستفعل الآن؟ فقد اخبرت روس انها ستعود الى منزل آل لانكستر، وجعلته يفترض انها ستعود الى المزرعة مع جاي ولوري.

لم تستطع التفكير الا بجاي بينما يحاول سائق التاكسي ايجاد اوتيل لتنزل فيه فقد افترضت انها ستعود الى الوطن، لديها المال لذلك... فقد ترك جاي شيك مع جولي لها، والذي اصرت جولي عليها لتأخذه، وكان معها ايضاً تذكرة سفر العودة الى انكلترا.

جلست في غرفة الفندق المكيفة تحاول معالجة جراحها، وبقيت فيها لتتجنب رؤية روس في الطرقات او الالتقاء به في طريق عودتها للوطن.

يا لسخرية القدر، روس الذي لم يؤذيها في حياته، افتعل كل هذه المشاكل، لا، لم يكن روس هي فعلت هذا بنفسها لو انها فقط اخبرت جاي، لو ان روس ايضاً لم يترك تلك الرسالة بأنه خطيبها.

«لم استطع ايصال الرسالة الى تلك الفتاة التي ردت على التلفون» شرح روس لها، عندما سألته لماذا ترك تلك الرسالة.

«بدت نصف نائمة ففكرت ان ذكري لها بأني خطيبك سيوقظها قليلاً، هل تمانعين بذلك».

لا قالت انها لا تمانع روس لم يكن يعلم والحاضنة لم تكن تعلم ايضاً، الحاضنة! انها لا تتذكر اسمها وهي لن تراها في حياتها مرة ثانية وكذلك... الحصول على ضفر ضاعت حدوة الحصان وللحصول على حدوة الحصان ضاعت المملكة.

لتخبر جاي انها تحبه وستترك القدر يقرر ما سيحصل بعد ذلك.

هذا اللحن القديم عن الكوارث التي تبدأ من اصغر شيء الى الاكبر، سرى في رأس دولسي، حين استيقظت في اليوم الثالث من بقائها في الاوتيل، حدقت في وجهها الشاحب بالمرآة وللمرة الاولى لفتت نظرها تلك اللائحة التي علقتها على باب الغرفة.

«الرجاء عدم الازعاج» فقد بدت وكأنها لمحة عن اعماق نفسها.

ماذا تفعل؟ هزت رأسها محاولة طرد تلك الغمامة السوداء من داخلها، فمهما حصل هي احبت جاي.

احبته دائماً وستبقى كذلك، هل كانت ستتركه حقاً يذهب بهذه السهولة؟ وجاي احبها... على الاقل لفترة، قامت وفتحت ستائر الغرفة ثم دخلت الى الحمام لتأخذ دوشاً، رافضة التخلي عن صورة وجهه كانت دائماً تحارب من اجل ما تريد.

كان ابواها ضد دخولها الى الجامعة قائلتين انها ستتزوج روس، لكنها قاومت وذهبت.

كان ذلك القرار الصائب، وهذا الآن، ستعود الى روز ڤالي

الفصل الحادي عشر

كانت المزرعة خالية عندما وصلت دولسي في سيارة قد استأجرتها، ربما قد ذهب العمال بسبب الحريق.

كان باب البيت الامامي مفتوحاً، مظلماً وفارغاً، والآن ها هي هنا، خائفة جداً لتدخل كل هذا مع اثار الدمار الذي سببه الحريق اضفى على المكان جواً مخيفاً.

فقد جئت لتعود الرحلة الى كالغاري التي بدت سريعة ومريحة عندما ذهبت مع جاي ولوري اخذت معها يوماً كاملاً.

فجهاز الراديو في السيارة كان معطلاً، لكن عقلها كان يشتغل كثيراً، وهي تقطع الاميال.

وما هي عائدة لتفعله بدا مستحيلاً وهي تعود الآن لتقول لجاي انها احبته عندما نعتها هو بالكاذبة والمخادعة.

فقد بدت في عينيه ڤاليري الثانية، باستثناء ان زوجته الاولى لها فضيلة الصدق، هكذا قال.

وقفت دولسي بجانب سيارتها، وهي تفكر كيف ان جاي بعد افصاحه عن مشاعره، وبدئه بتغيير رأيه في النساء عاد واوقف نفسه في سجنه، بعد ما حصل، للأبد، لقد فقد ثقته بحبها.

بدا المكان هادئاً جداً، وكأنها تقف في عالم ميت، وعندما سمعت خطوات اقدام آتية نحوها، بالكاد وجدت قوة لتستدير.

«لقد عدت؟» كان لويد ساوثويند.

«لـويـد، اين جـاي؟ يجب ان اتكلم معه!» قـالت قبل ان تتراجع.

«لقد رحل» نظر اليها بعينين داكنتين.

«الى اين؟» تضاربت آلاف الاجوبة في رأسها، لكن واحد طغى على فكرها، بأن جاي قد ذهب الى نيويورك، الى كورين!.

«الى الشرق فكلية مايك تقيم احتفالاً افتتاحياً، للطلاب الجدد، فأخذه جاي واصطحب لوري معه».

وضعت دولسي يدها على السيارة لأن ارتياحها للجواب اضعفها.

«متى سيعودون؟».

«لا ادري ربما غداً» هز لويد كتفيه بلا مبالاة.

«اذاً، سأنتظر» اخذت حقيبتها من السيارة.

«لم يقل جاي شيئاً عن ذلك» صوت لويد المشكك اوقفها.

«الرجال ليسوا هنا ستبقين وحدك».

«لويد» ارادته ان يفهم.

«يجب ان انتظر! يجب ان اتكلم مع جاي ربما اخبرك لماذا».

لم يخبرني شيئاً» توقف طويلاً قبل ان يقول.

«فهو ليس مضطراً لـذلك» استدار ومشى نحو الجيب ثم اختفى.

فجأة سمعت صوت طائرة تقترب من روز ڤالي.

ارادت ان تركض لتقول تفسيرها دون تفكير وقبل ان تخذلها شجاعتها، لكن بدلاً من ذلك اجبرت نفسها على الانتظار خارج المنزل، بينما حطت الطائرة وخرج منها ثلاثة اشخاص.

واحد استدار نحوها ثم تردد، ولوري هرعت باتجاهها لتقبلها وتحضنها.

«دولسي! عرفت انك ستعودين، ابي قال انه لا يجب علي ان اتوقعك، لكن عرفت طوال الوقت انك ستعودين!» ثم استدارت نحو ابيها.

«الم اقل لك يا بابا؟».

«نعم قلت» وجه جاي كالقناع، وعيناه كالصخر.

«ربما دولسي لا تحب ترك شيء لم ينته بعد ماذا هناك؟» سألها.

«اسبوعان او ثلاثة قبل ان تنتهي الثلاثة اشهر؟».

«جـاي ارجـوك!» نسيت لـوري نسيت كـل شيء، امسكت ذراعه، بينما هو حدق بعينيها.

«لوري» لم يبعد نظره «اذهبي وساعدي مايك بالامتعة، والآن ماذا لديك لتقوليه؟».

اكمل بعد ان ذهبت لوري مكرهة.

«انك آسفة؟ كان كل شيء غلطة؟ ليس عليك اخباري هذا فأنا اعرفه».

ترجرج صوته.

«الا يكفيك تحطيم راحة بالي؟ ماذا لديك الآن لتعودي...

تدميري؟».

ابتعد عنها نافضاً يدها بعنف.

«جاي ارجوك!» خذلتها كلماتها، وهو يسير بخطوات واسعة نحو البيت.

من المدهش جداً كيف تستطيع اكمال اعمالك اليومية بينما عالمك ينهار من حولك.

الفصل الثاني عشر

فما زالت دولسي تستيقظ كل صباح وتساعد مايك باعماله المنزلية.

وما زالت تذهب مع لوري لركوب الخيل بعد انتهائها من الدورس وما زالت تجلس في مكانها المعتاد على مائدة الطعام. حتى انهم كانوا يتحدثون بامور تهم لوري، بينما في كل هذا الوقت ما لم يقال بقي يهمهم في رأس دولسي.

بينما تمر الايام وجدت مزاجها يتأرجح من الغضب الى اليأس ووجدت نفسها تحب وتكره جاي في نفس الوقت.

احدى الامور الايجابية التي توصلت اليها هي مراسلة جيري لتعلمه باستقالتها من عيادته فقد اعتقدت في البداية ان عملها هو خط الحياة بالنسبة لها، لكنها ادركت ان علاقتها مع جاي سيجعل عملها مُذكر ثابت وغير محتمل لما حصل، فقد رأت جاي هناك لأول مرة.

لا، ليس باستطاعتها العودة الى العيادة ومواجهة تلك الذكريات، لكن لديها الخبرة التي جعلتها محللة نفسية للاطفال من الدرجة الاولى.

www.elmamcia.com

بمكانها الحصول على عمل آخر، من يعلم، ربما استيقظت في حد الايام لتجد انها لا تفكر بجاي.

انهت رسالتها شارحة له ما حصل، فهذه ليست المرة الاولى التي تحبره فيها عن شكوكها.

لوحت للويد، الذي كان يستعد للاقلاع، ففتح لها الباب.

«لويد، هل تضع هذه في البريد من اجلي؟» ناولته الرسالة.

«بتأكيد!» كل مشاعر جاي انعكست في ملامح لويد.

قدفت دولسي فرشاة شعرها على طاولة غرفتها.

هل هذا ما عادت من اجله؟ لا بد ان جيري قد تسلم رسالتها، لم يعد لديها عمل الآن، ليس لديها شيء، الوقت يمضي وجاي ما زال يبني اسواراً من الشك وعدم الايمان بها حتى انه لا يوجد اي من في تحطيمها ثانية.

لديها خيار الآن، اما ان تدع يوم آخر يمر هكذا او تذهب مباشرة الى غرفة الدرس وتواجه جاي، وتجبره على الاصغاء لما ستقوله.

لم تكن لوري في غرفة الدرس، والصوت الذي سمعته عندما طرقت على الباب طرقات خفيفة لم يكن الا جاي يتحدث على التلفون، فشعرت انه جيري على الخط الآخر.

كل ما يهمها الآن هو شجاعتها التي احضرتها الى هنا، بدأت تنسل منها قطرة بعد قطرة، وهي تقف في غرفة الدرس وراءه، وهو يمسك سماعة الهاتف، موجهاً اسئلة حادة ودقيقة.

هل تذهب ام تبقى؟ بامكانها الذهاب الآن والعودة في وقت آخر... او ابداً، وتضيع الفرصة.

«قد يبدو الامر، اني جعلت نفسي ابدو كالاحمق مرة اخرى».

هذا ما قاله جاي باقتضاب في حديثة على الهاتف.

«... اتمنى ان تكون محقاً وان الاوان لم يفت بعد... لا! شكراً لاتصالك... جيد، سأخبرك».

وضع السماعة واستدار نحو دولسي، تجمد وكأنه يراها للمرة الاولى، حيث فاجئها، فتبخرت كل الكلمات التي كانت قد استعدت لقولها.

ماذا كانت ستقول؟ ان روس قد عاد الى انكلترا ليتزوج من اخرى؟ حتى لو صدقها ما الذي سيختلف؟ فقد يعتقد انها عادت الى المزرعة لتجعله اختيارها الثاني.

وقفت هناك غير قادرة على الكلام او حتى الحركة تراقب تعابير وجهه، ملاحظة انها تتغير من اليأس الى عدم التصديق واخيراً الى السعادة.

دنا منها والتقطها بيده وكأنه لن يتركها ابداً تفلت ثانية، وبالرغم من انها علمت انه لن يسمع كلماتها، فقد انتظرت طويلاً لتقولها.

قالتهم تماماً كما هم.

«جاي» همست وخدها على نبضات قلبه الوحشية.

«أحبك».